الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبدالحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي
تخصص أدب قديم

الحكمة في شعر المتنبي (دراسة تحليلية)

إعداد الطالبة:
لخضاري سعاد

تحت إشراف الأستاذ:
د. ابراهيم بلقاسم

السنة الجامعية 2018/2017

كلمة شكر و عرفان

حمدا لله على ما وفق وهدى، والصلاة و السلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه و سلم

أتفضل بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف
الذي أرشدني بتوجيهاته القيمة
الدكتور إبراهيم بلقا سم

وإلى جميع أساتذتي الذين كانوا معي طيلة مشواري الدراسي وكل من ساهم من قريب ومن بعيد في إنجاز هذا البحث فكان من الله التوفيق ومني الشكر و الثناء.

إهـــــــداء

بعد الحمد والشكر لله سبحانه و تعالى:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

* الوالدين الكريمين
* إخوتي و أخواتي
* زوجي الكريم
* إلى الأستاذ المشرف إبراهيم بلقاسم
* إلى صديقاتي (شفيقة ، فتيحة ، سميرة ، حياة)
* إلى كل أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي و إلى كل الزملاء و الزميلات

سعاد

- مـــقـــــــدمـــــــة –

بسم الله الرحمن الرحيم
و الصلاة والسلام على أفضل المرسلين محمد صلى عليه وسلم

لا يمكن تصور شخصية الإنسان دون عقل وعاطفة لأنهما من مركباتها الأساسية ، فهما توأمان لا يمكن الفصل بينهما في سلوكات الإنسان وفي تفكيره وتقدير الأمور ،فإذا كان العقل قوة متهيئة للإصابة في الحكم ، فالعاطفة استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية .

و الحكمة هي أعلى مراتب العقل وهي كما عرفها إبن القيم الجوزية هي فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي و هي من الصفات الحميدة في الإنسان .

وهي حقيقة إنسانية تعبر عن وجهة نظر صاحبها الذي يكون عادة من كبار الفلاسفة و الأخلاقيين وله تجارب عميقة و مشاهدات دقيقة لكل ما يجري حوله من تصرفات الناس و طبائع الأشياء .

ومن المتعارف عليه أن المتنبي كان من أكثر الشعراء العرب احتفاء بالحكم و إيرادا لها في قصائده

فقد عاصر أثناء حياته الخاطفة تجارب متنوعة انعكست في نتاجه الشعري فكان و وعاء انصهرت فيه الثقافة الواسعة التي سادت عصره و استوعبها الشاعر فكانت خير منهل انتهل منه شعره.

ومن خلال قراءتي لديوان أبي الطيب المتنبي لاحظت أن غرض الحكمة يكاد لايفا رق ثنايا قصائده

بل ثمة قصائد بكاملها نسجت حكما، الأمر الذي يجعل نتاجه متميزا بهذا اللون من الشعر .

و السؤال المطروح في هذا السياق .إلى أي مدى تمكن المتنبي من التوفيق في إثبات غرض الحكمة

في شعره وبين التعبير الفني الذي يحتاج إلى ثوب خيالي براق و روح عاطفية تحرك الإحساس بما يتوافر عليه من لفظ جميل ؟

لا ريب أن البحث في هذه المسألة يقود إلى تتبع أصول شعر الحكمة عند المتنبي مما يتطلب دراسة الحياة الفكرية التي عاش في ظلها للوقوف على مدى خصوبة غرض الحكمة عنده ،كما تستوجب الدراسة الوقوف على مدى توافر البعد الفني في صوغ هذه الحكم . ولما كان الطابع الفني أقوى أثرا

من الجانب المعرفي في التعبير الشعري خصوصا فإن المهمة الأساسية لهذا البحث تتمثل في محاولة الإجابة على الأسئلة التالية .

لما كانت الحكمة في جوهرها وليدة العقل ، فهل يعني هذا أن أبا الطيب المتنبي جرد صياغة الحكمة من كل عاطفة ؟ أم أنه تمكن من أن يجانس بين الفكرة السديدة و العبارة البليغة ؟ ولما كان التعبير عن غرض الحكمة شعرا ،فهل استطاع المتنبي في غمار رحلته الشعرية إبراز ثنائية الفكر و الفن معا ؟

وقد تناول مجموعة من الأدباء و الباحثين دراسة آثار المتنبي الشعرية من زوايا مختلفة منهم .د-محمود محمد شاكر،د . فتحي أ سعد إسماعيل نعجة، د. منير سلطان، د. طه حسين، د. يسري سلامة وحسين

إن اختياري لهذا الموضوع راجع إلى رغبتي في خوض معترك القضايا الشعرية المرتبطة بالشعر العربي القديم وأبرز أعلامه كا لمتنبي ،و بخصوص معالجته يبدو لي أن أنسب منهج يتبع هوا لمنهج الفني مع الاستئناس بالمنهج التاريخي في ترتيب الأحداث و ردها إلى أصولها مهتدية إلى رسم الخطة التالية .

المدخل :وفيه تناولت الحديث عن غرض الحكمة في الشعر العربي قبل المتنبي بإبراز أهم أعلامه و خصائصه بعد الإشارة إلى مدلول الحكمة في الحقل اللغوي وفي مختلف حقول المعرفة وذلك إيضاحا لمفهوم الحكمة كونها تشكل جانبا هاما من البحث .

وبعد هذا المدخل ارتأيت أن أطرق بحثي هذا في ثلاثة فصول بخلاف المقدمة و الخاتمة وقائمة المصادر و المراجع المعتمدة و فهرس الموضوعات.

الفصل الأول : تطرقت فيه إلى المتنبي وعصره من خلال مظاهر الحياة السياسية و الفكرية و الثقافية ثم تحدثت عن نشأة المتنبي و ثقافته بإبراز تأثير عصره في تكوين شخصيته الأدبية و العقلية حتى صار بحق حكيم الشعراء وشاعر الحكماء .

الفصل الثاني : قد خصصته بالحديث عن مصادر شعر الحكمة عند المتنبي و مثلتها في مصدرين أساسين

* مصدر داخلي أصيل مجسد في ظروف الحياة التي عاشها الشاعر وفي تتلمذه على أيدي كبار علماء عصره

* مصدر خارجي أجنبي ، وفيه بيان لإقبال المتنبي على الاغتراف من مناهل المعارف الدخيلة وفي مقدمتها تأثره بالفلسفة اليونانية التي كانت سائدة في عصره وإلى أي مدى كانت هذه الفلسفة مرجعا لشعر الحكمة عنده.

الفصل الثالث : حاولت تسليط الضوء على أهم الخصائص الفنية و الفكرية لشعر الحكمة عند المتنبي حيث وقفت في الحديث عن الخصائص الفنية عند أهم المميزات الأسلوبية لشعر الحكمة عنده أما الخصائص الفكرية فقد حاولت من خلالها التعرف على أهم ما ينفرد به فكر المتنبي عن غيره من الشعراء .

وقد أنهيت البحث بخاتمة كانت حوصلة عن الحكمة في شعر المتنبي ومدى تأثيرها في تجربته الشعرية مع ذكر قائمة المصادر و المراجع في آخر المطاف ،مع هذا كله حاولت جاهدة أن أعطي الموضوع حقه من البحث و الدراسة لأتشرف بوضعه بين أيدي السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لأستفيد من ملاحظاتهم و توجيهاتهم القيمة .

أخيرا ،إن الأصول تستوجب علي الإشادة بجهود كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث ،فلا أملك إلا أن أتوجه إلى الله عزوجل على توفيقه في إنجاز هذا البحث ،وكل من ساعدني من أساتذة و زملاء وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الذي يرجع إليه الفضل في احتضانه منذ أن كان فكرة .

مـــدخـــــل

مـــــدخـــــل :

مدلول الحكمة في المعاجم اللغوية :

لما كانت الحكمة تشكل مرتكزا هاما في موضوع البحث،فإن أصول الدراسة تستوجب التطرق إلى المدلول اللغوي للفظ (الحكمة)بتفقد بعض المعاجم المعتمدة .

وإذن لنستعرض مدلول الحكمة في هذه المعاجم وأول معجم نستأنس به هو لسان العرب ،فقد جاء

في مادة (حكم) قول ابن منظور :(قيل الحكيم :ذوالحكمة و الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم،و الحكمة العدل ،ورجل حكيم :عدل حكيم،ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات و يتقنها حكيم)[1].

ويتضح من خلال هذا التعريف أن الحكمة لاتكون إلا من نصيب خاصة الناس حيث أنها لا تتأتى لصاحبها إلا بعدما يتحكم في أفضلية ماوصل إليه الفكر الإنساني في جانبيه العلمي و العملي .

ويذهب ابن فارس صاحب معجم مقاييس اللغة إلى أن (الحكمة تمنع من الجهل)وهي أيضا(المنع من الظلم)وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها ويقال حكمت السفيه و أحكمته على يديه و المحكم المجرب المنسوب إلى الحكمة،قال طرفة : ليت المحكم و الموعوظ صوتكما تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة[2]

وقال الجواهري :الحكم :الحكمة من العلم ،وصاحب الحكمة المتقن للأمور و قد حكم – بضم الكاف – أي صار حكيما ، قال النمر بن تولب: و أبغض يبغضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما قال الأصمعي :أي إذا حاولت أن تكون حكيما و المحكم هو الشيخ المنسوب إلى الحكمة [3].

أما المعجم الوسيط في تعريفه للحكمة فإنه لا يخرج هو الآخر عن اعتبارها (معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ،وبان الحكمة :العدل ،وهو بذلك يجاري لسان العرب ،غير أنه يتبع مختلف استعمالات اللفظ في الحقل اللغوي فيذكر أن الحكمة :العلة ،فيقال حكمة التشريع،وما الحكمة في ذلك؟) إلى أن يصل إلى أن (الحكمة. الكلام الذي يقل لفظه و يجل معناه ج حكم)[4] .

وهذا التعريف يوحي بأن الحكمة تكون قليلة المبنى غزيرة المعنى و غزارة المعنى في الحكمة يمكن تفسيرها بأنها خلاصة تجارب أثبت صحتها واقع تعامل الناس فيما بينهم على مر الأيام وهي لاتصدر الا عن عقل راجح ورأي محكم ونظر ثاقب لتكون صدى للنفوس وترجمان لما في الخواطر في كل زمان ومكان ،ومن هذا المنظور تطرقنا إلى الحكمة عند المتنبي .

1- ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم ،لسان العرب ،مادة حكم ص 30/15.

2- ابن فارس بن زكريا،أبو ا لحسين أحمد ،معجم مقاييس اللغة ،مادة حكم ،ج 2/ص 92/91.

3- الجواهري ،معجم الصحاح ، مادة حكم ص 5/ 1901.

4- مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الوسيط مادة حكم ص 62.

لايمكن مغادرة الحقل اللغوي للفظ الحكمة دون إستشارة القرآن الكريم في وجود هذا اللفظ في المعاني التي يدل عليها .

مدلول الحكمة في القــرآن الكــريم :

يتكرر لفظ (الحكمة) في الكتاب المقدس عشرين مرة في مجموع سور الذكر الحكيم بهذه الصيغة ويتكرر بصيغة (الحكم)معرفة ونكرة عشر مرات.
وما يلفت النظر في لفظ الحكمة في القران العظيم أنه لفظ ورد في أكثر الآيات مقرونا بذكر الكتاب .
ومفاد الحكمة في مجمل هذه الآيات الدلالة على ما في الكتاب الكريم من الأحكام و القيم على نحو ما ورد في سورة البقرة الآية 129:(**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب والحكمة و يزكيهم ،إنك أنت العزيز الحكيم)** [1].
أو الدلالة على العلم النافع المؤدي إلى العمل الصالح على نحو ما جاء في سورة البقرة الآية 269 **(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكرَ إلا أولو الألباب)** [2] .

وفي آيات قليلة دل لفظ الحكمة على النبوة مثلما جاء في الآية 251 من سورة البقرة **(فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك و الحكمة وعلمه مما يشاء)**[3].

نجد أن لفظ الحكمة يدور في آيات الذكر العزيز في فلك معاني الأسلوب الحكيم و اللفظ اللين مما يؤثر في السامع و يفيده أو بما يدل على المواعظ البليغة و الهداية الرشيدة. ولعل هذا ما يفسر مجيئ لفظ الحكمة في أغلب الذكر الحكيم مقرونا بذكر الكتاب ذلك أن كتاب القرآن معجز في مبادئه و تشريعه الحكيم وأسلوبه القويم و الدعوة إلى الموعظة الحسنة وقد بين ذلك بقوله :
(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) الآية 9 من سورة الإسراء .[4]
وبعد هذه الجولة السريعة مع لفظ الحكمة في الحقل اللغوي و في رحاب القرآن الكريم ، نتطلع إلى مدلولها في الفكر الإنساني أولا ثم في العصور الأدبية التي سبقت المتنبي ثانيا و ذلك تأسيسا لبعد الحكمة في البحث .

1- سورة البقرة، الآية 129.
2- سورة البقرة ،الآية 269 .
3- سورة البقرة ،الآية 251 .
4- سورة الإسراء ، الآية 9

1) الحكمة في الفكر الإنساني:

لقد سبق الذكر بأن الحكمة خلاصة نظر معمق إلى الكون و المجتمع ،تصدر عن ذوي التجارب الخصبة و العقول الراجحة و الأفكار النيرة . وبهذا تصدر عن فئة من الناس تقدر (على فهم الارتباط بين العلة و المعلول و السبب و المسبب فهما تاما)[1].

وتنظر إلى الأمور نظرة شاملة و تحللها تحليلا دقيقا ثم تصدر في شأنها حكما يظل سائرا مذكورا يعلق بالأذهان و القلوب فيجري مجرى الحكمة على الألسن عبر العصور و الأزمان .

ولما كانت الحكمة تصدر عن العقل وما يصدر عنه مرادف لصدق الحكم الذي لا يختلف فيه اثنان مهما اختلفت البيئات و الأزمان. و الارتكان إلى العقل يعني التوافر على قدرة أساسية لثلاثة أمور:

- الحكم على بعض الأمور بأنها صادقة وعلى الأخرى بأنها غير صادقة .
- تقدير مختلف الاحتمالات و ترجيح احتمال منها على الآخر.
- التمييز بين الحسن و القبح في السلوك و الأعمال الفنية . [2]

والمراد هنا ليس مجرد الاستحسان و الاستقباح الصادر عن الأهواء و النزوات ،بل أن يكون الإنسان قادرا على وضح أحكام عامة و أحكام يشعر فيها و يتمكن من صوغها في ثوب لغوي يعبر فيها عن هذه الأفكار تعبيرا واضحا عن هذه الأفكار ،بحيث إذا أعلنها وتحدث بها أذعن لها أصحاب العقول في الحوار . وهذه الخصائص الثلاث هي نفسها التي تسهم في بناء الحكمة و إنتاجها خاصة وأن العقل الإنساني يشترك فيها في كل زمان ومكان . ولعل هذا ما يفسر تطابق معاني بعض الحكم لدى الشعوب و الأمم رغم اختلاف العصور وتباعد المناطق . و العرب باعتبارهم من شعوب بلاد الشرق شاعت عندهم الحكمة منذ العصر الجاهلي، غير أن ما وصل من حكم عنهم بالنسبة إلى هذا العصر لا يتجاوز حدود البساطة و النظرة الضيقة إلى المحيط الاجتماعي. وبمجيء الإسلام دين النظر و الرؤية و الفكر أخذ نطاق عقلهم يتسع إلى محيطهم الاجتماعي و الحضاري بدافع الدين الجديد [3].

وهناك أكثر من خمسين آية تدعو إلى استعمال العقل [4] ،كما أن هناك تذكير بتعليم الله لعباده الكتاب و الحكمة (لقد منَ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة...)[5].

---

1 - صليبا ، جميل ،المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني 1978 – ج1/ص941 .

2- المرجع نفسه – ج 2 /ص 89 .

3- ينظر أبو: العلا مصطفى: شعر المتنبي . دراسة فنية ، مكتبة نهضة الشرق ،القاهرة 1976 ص31/30.

4- ينظر نايت بلقا سم ، مولود قاسم : الإسلام ثورة. شاملة مجلة الأصالة رقم9،أكتوبر 1972 .ص13.

5-سورة آل عمران . الآية 164.

والرسول صلى الله عليه و سلم يحث على طلب الحكمة (الحكمة ضالة المؤمن حيث وجد ضالته فليجمعها)[1] .

وفي حديث آخر يقول الرسول **صلى الله عليه وسلم** :(لا حسد إلا في اثنتين :رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ،ورجلا آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[2] .

وفي ظل هذه الثقافة الجديدة التي أخذت تطبع فكر العربي توسعت آفاق المعرفة عنده فانعكس ذلك إيجابا على منتوج العقل ومن ثمة على الفكرالحكمي قوة و عمقا.ولا سيما بعدما انكب العقل العربي على دراسة كثيرا من فلسفة اليونان وآثار الفرس و حكمة الهند،وقد ترك الفرس و الهند مؤلفات زاخرة بالحكم الدالة على عمق التفكير وبلاغة التعبير.

وفي الفكر اليوناني نجد أن الحكمة ترتبط بالمحبة،لتكون محبة الحكمة أو فيلو-صوفيا،والحكمة هنا تعني المعرفة الواسعة بحقائق الأمور و العمل بما يتناسب مع هذه المعرفة طلبا لأقصى درجات الكمال. ويروى أن فيثا غورس (497 ق.م)رفض أن يلقب بالحكيم مبررا ذلك بقوله :(اسم الحكيم لا يليق بالإنسان قط،بل يليق بالإله،وكف الإنسان شرفا أن يكون محبا للحكمة وساعيا ورائها)[3]. وكانت محبة الحكمة هذه عند قدماء اليونان تضم جميع العلوم،وبهذا نقول أن الآثار الفكرية المبنية على الحكمة كانت ولا تزال مصدر بناء شخصية الإنسان في جانبها السلوكي القويم وفي جانب عظمتها بكل أبعادها .

2) شعر الحكمة قبل المتنبي:

للحديث عن شعر الحكمة قبل المتنبي ارتأينا أن نتتبع هذا الشعر تتبعا زمنيا وفق العصور الأدبية بدءا من العصر الجاهلي ووصولا إلى العصر العباسي و العصر الذي ظهر فيه شاعرنا .وذلك بغرض الوقوف على خصائص شعر الحكمة قبل المتنبي لنتمكن في ما بعد من إبراز مظاهر القوة أو الضعف، التجديد أو التقليد التي تطبع شعره في غرض الحكمة .

أ) شعر الحكمة في العصر الجاهلي:إن المتفقد لشعر الحكمة في آثار الشعراء الجاهليين لا يجد له قصائد مستقلة بذاتها بقدر ما يجده يتخلل قصائدهم،حيث أن البيئة التي كان يعيش فيها الشعراء - آنذاك – محدودة النطاق لا تسمح لهم بثراء الفكر و خصوبة العقل .فلا علم منظم عندهم ولا فلسفة و(وإن كل ما كان عندهم من هذا القبيل لا يتعدى معلومات أولية و ملاحظات بسيطة،لا يصح أن تسمى علما ولا شبه علم،أما القواعد و البحث المنظم الذي يسمى علما فلا عهد للعرب الجاهليين به)[4]. إذ أن العقل العربي في هذا العصر لا يزال في مرحلة الطفولة.

---

1 – بليق ، عزالدين ، منهاج الصالحين دار الفتح للطباعة و النشر – بيروت 1978.ط1/ص 205.

2 – البخاري، عبد الله بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، مراجعة و ضبط و فهرسة الشيخ محمد علي قطب والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية ،صيدا،بيروت 2004 .ص32.

3 – صليبا،جميل ،المعجم الفلسفي ،ج1،ص 18.

4 – أمين ، أحمد ،فجر الإسلام ، ص 48.

صحيح ،إن العرب قد اتصلوا بغيرهم من الأمم المجاورة عن طريق التجارة أو المدن المتاخمة لبلاد فارس(إمارة الحيرة)والروم (غسان)،وكذا عن طريق البعثات اليهودية و المسيحية وهذه العوامل الثلاثة كانت تحمل في طياتها بذور المدنيات الفارسية و الرومية واليونانية ولكن العرب بحكم بيئتهم الطبيعية و المرحلة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها لم يتمكنوا من التفاعل مع مدنيات هذه الأمم بشكل واسع و التفاعل الإيجابي بين المجتمعات إنما يتم في ظل جملة من الشروط في مقدمتها تقارب العقليات و مستوى الحضارات [1].

لذا يمكن القول عن المخالطين من العرب للفرس و الروم أنهم نقلوا عن غيرهم ما يتفق و عقليتهم، و التاريخ يخبرنا أن العربي نقل ما يخف حمله على الناقل كالأمثال و الحكم و القصص و حوادث التاريخ .

وعندما يقبل القارئ على قراءة الشعر الجاهلي بنية البحث عن شعراء وردت في أشعارهم حكم بصورة بيانية واضحة فإنه يجد في شعر زهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة و طرفة بن العبد ما يغنيه عن عناء البحث ،فعلا يعد هؤلاء من أبرز الشعراء الجاهليين الذين أجادوا القول في شعر الحكمة و لعل شعر زهير بن أبي سلمى خير ما يمثل شعراء العصر الجاهلي .

– من حكم زهير بن أبي سلمى (627م): زهير بن أبي سلمى من الشعراء الذين عمروا طويلا فقد عاش ما يقارب تسعين سنة فيما تذهب إليه كتب الأدب الصحيحة السند [2]. وطبيعي جدا أن تأتيه الحكم إرسالا بعدما بلغ من العمر عتيا.و المتأمل في حكم زهير يدرك بأن الشاعر قد عبر عن عصارة فكره وما استخلصه في الحياة من عبر ولكن بعين الرجل البدوي الذي يكتفي باستخلاص العبرة دون أن يسلط عليها تفكيره ومن حكمياته كما في قوله :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا – لا أبالك يسأم [3] .

وأعلم ما في اليوم و الأمس و قبله لكنني عن علم ما في غد عم

فالشاعر عمر طويلا،فتكبد مشاق الحياة و صعابها ،وقد نيف عن ثمانين سنة و الشيخوخة تضعف قدرات المرء و تعجزه فتذهب عنه لذة الحياة لتجعله مطية اليأس وهذه حقيقة واقعة يدركها العام و الخاص مثلها مثل قوله بأنه يعلم ما مضى وما حضر ولكنه يجهل ما هو آت في المستقبل و لعل ما يميز حكم زهير أنها وليدة عن عقل هادئ،يعاين الظواهر و يستخلص الدروس ثم يصدر الأحكام وفق رؤية بيئة جاهلية أهلها(أميون لا يكتبون،و مطبوعون لا يتكلفون)[4] أو قل فيهم من يكتب ويقرأ،وهذا ما يفسر كون حكم زهير لا تعدو أن تكون تعبيرا عن خطرات فكرية أقرب إلى السطحية منها إلى نظرة تحرك العقل فتأتي الفكرة ممهورة بالعمق وقد استوعبت الفنية الجمالية .

---

1 – ينظر أمين،أحمد ،فجر الإسلام ،ص29.

2 - الفاخوري ،حنا ،تاريخ الأدب العربي ،المطبعة البولسية ،بيروت .ط6.ص146.

3 – الزوزني،أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين،شرح المعلقات السبع،دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر،بيروت 1969،ص 181.

4 – الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر،البيان و التبيين ،تحقيق عبد السلام هارون ،مطبعة دارالمعارف1966، ط5،ج3،ص15

ب) الحكمة في صدر الإسلام و العصر الأموي:

ظهر الإسلام فرفع مستوى العقلية العربية،وأثرت تعاليمه تأثيرا كبيرا في تغيير قيمة الأشياء و الأخلاق في نظر العرب ،حتى إنه ليمكن القول بأن النزاع الذي كان قائما بين من أسلموا وبين من لم يدخلوا في الإسلام في الحقيقة نزاع بين عقليتين : عقلية جاهلية بكل ما تحمل الكلمة من معاني الطيش و السفه و الأخذ بالثأر و اقتراف ما حرمه الدين الحنيف ،و عقلية إسلامية ترى الأشياء رؤية جديدة .[1].

ولقد كان من أثر الإسلام في العقلية العربية أنه ما كادت تنزل آيات القرآن الكريم التي تقول:

(اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق،اقرأ وربك الأكرم،الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) (العلق:5/1)[2].

حتى أخذ المسلمون ينظرون إلى العلم نظرة جديدة،وكان للقرآن الكريم و الحديث الشريف أثر محمود في الدعوة إلى التأمل و احترام العقل، الأمر الذي نتج عنه إقبال المسلمين على القرآن يتدارسونه و على الحديث يجمعونه وعلى ثقافة الأمم المفتوحة يأخذون منها فوضعوا أسسا لعلوم كثيرة ازدهرت في ظل الإسلام،وقد رأينا في العصر الجاهلي أنه قلما تخلو قصيدة لشاعر من حكمة أو ضرب مثل وقد كان ذلك طبيعة في الشاعر الجاهلي [3].

ولما جاء الإسلام زاد هذا الاتجاه رونقا و صوابا.ولاشك في أن العرب المسلمين المؤمنين بإدراكهم لمنزلة الحكمة في القرآن الكريم و الحديث الشريف قد جنح بهم تفكيرهم إلى إجهاد عقولهم لإثبات ذاتهم بتفكير الجاد و الحكمة البليغة، وما مضى وقت من الزمن على ظهور الإسلام حتى ظهر حكماء عرفوا برجاحة العقل و أصالة التفكير و بعد النظر . وقد احتلوا مكانة رفيعة بين قومهم وتناقل الناس حكمهم اعترافا بفضلهم وتقديرا لمكانتهم و سيادتهم [4].

وفي مقدمة هؤلاء الحكماء العرب المسلمين الذين ظهروا في صدر الإسلام الإمام علي بن أبي طالب (41هج) كرم الله وجهه و هو الإمام التقي الزاهد في الدنيا المرغب في الآخرة،يحب الفضائل و يعشق المكارم،خبر الحياة و استخلص منها العبر فسجلها في حكم خالدة استمد معانيها من الدين الإسلامي- دين النظر و الرؤية و الفكر و إن الآيات التي تدعو إلى استعمال العقل تتجاوز الخمسين .. وكذلك مما تسرب من حكم الأمم المجاورة وقد أضفى عليها الإمام طابعا إنسانيا جعلها سائرة مذكورة في كل عصر و آن [5].

1- ينظر هيكل،محمد حسين ،حياة محمد(ص)،مكتبة النهضة المصرية .مصر ،1965،ط9،ص147.

2- سورة العلق ،الآية 5/1.

3- ينظر هيكل،محمد حسين ،المرجع السابق ،ص 133.

4- ينظر حسن،حسن إبراهيم ،زعماء الإسلام ،مكتبة النهضة المصرية،مصر،ص69.

5- المرجع نفسه ،ص 72،(بتصرف).

ويعد الإمام علي بن أبي طالب قطبا هاما من أقطاب الحكمة في عصر صدر الإسلام.(وقد جاءت الحكمة عنده وافرة المعنى،جميلة المبنى تنبض بالحياة على مر العصور و الدهور،فإذا رأى مصائب البشر العديدة و نتائج أهوائهم السيئة صور لنا هذا العراك،فقال:(أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع) . وإذا أراد تبيان حقيقة العاقل قال:(لسان العاقل وراء قلبه،وقلب الأحمق وراء لسانه)[1].

وإذا ما تجاوزنا حكم الإمام علي كرم الله وجهه وأخذنا نبحث عن شعر الحكمة في صدر الإسلام وجدنا هذه الحكم تتخلل قصائد الشعراء،ولعل أميل شاعر إلى الحكمة في هذا العصر هو كعب بن زهير بن أبي سلمى(24هج)الذي رأى النور في غطفان وقد نشأ في بيت يكتنفه الشعر حتى ليقول ابن قتيبة:(لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير)[2] .وإرسال كعب للحكم وارد في شعره بدءا من البردة التي جاء فيها : **فلا يغرنّك مامنّت وما وعدت إن الأماني و الأحلام تضليل** · إلـــى قـــوله: **فقالت خلّوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول** [3].

فالحكمة في البيت الأول إن الأماني والأحلام تضليل،صادرة عن حقيقة المعرفة بالحياة التي لا تستجيب للأماني المعسولة و لا لأحلام الكسلاء النائمين،أما الحكمة في البيت الثاني- فكل ما قدر الرحمن مفعول - فالشاعر فيها متأثر بتعاليم القرآن الكريم إذ أن مضمون هذه الحكمة أقرب إلى قوله عز وجل:**{قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}** [4]،ومعنى هذا أن القرآن ترك بصمته على حكم الشعراء في هذا العصر.

* وعندما ننتقل إلى العصر الأموي بتسليط الضوء على أدباء جنحوا إلى أدب الحكمة،فلا نجد من ينافس ابن المقفع(145/106هج)،وهو فارسي الأصل نشأ بالبصرة وخالط الإعراب و أخذ عنهم العلم و الأدب (وقد تقلب ابن المقفع الكتابة لعدد من الولاة ،فكتب ليزيد بن عمر بن هبيرة وكان يزيد واليا لمروان بن محمد آخر خلفاء بن أمية)[5] .إضافة إلى ترجمته لكتاب (**كليلة و دمنة**)في ميدان الحكمة بحد كتابيه(الأدب الصغير و الأدب الكبير)،ففي الباب الثاني من كتاب الأدب الكبير أقوال الحكماء في حسن العلاقة بين الناس و التأدب في معاملة الأصدقاء،وابن المقفع من الأدباء الذين كانوا يرون بأن الحياة لا تستقيم ولا ينهض بها أحد دون الصديق،وهذا ما جعله يهتم بالصديق لأجل ذلك أثقل في شروطه و نصح بالدقة في اختياره،و إننا نجد في الأدب الصغير و الأدب الكبير الأثر الفارسي و اليوناني و الهندي الأمر الذي جعل الحكم الواردة في الكتابين ذات قيمة فكرية و أخلاقية ترشد القارئ و تنور عقله،أما الحكم التي تخللت القصائد الشعرية في العصر الأموي لم تكن تختلف عن تلك الواردة في قصائد كعب بن زهير.

1- عبد المنصور،عبد الفتاح،الإمام علي بن أبي طالب،دار الفكر العربي،بيروت،ص126.

2- ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم،الشعر و الشعراء،دار المعارف،القاهرة.1967.ص 57.

3- ضيف،شوقي،العصر الإسلامي،دار المعارف ،القاهرة ،1974 .ط 6 .ص 86.

4- سورة آل عمران ،الآية 47.

5- ينظر أمين،أحمد،ضحى الإسلام،دار الكتاب العربي،بيروت،ط 10،ج1،ص 199.

ج) شعر الحكمة في العصر العباسي الأول(132هج/334هج): إن أهم ما يميز العصر العباسي الأول هو النزعة إلى التجديد في المجال الفكري،إذ تفتح العقل العربي على ثقافة الحضارات المجاورة له من فارسية و رومية و يونانية و هندية. فحصل تمازج بين الثقافة العربية و ثقافة هذه الحضارات الأعجمية و قد انعكس هذا التمازج إيجابا على العقل العربي مما أدى إلى ازدهار الحياة الأدبية ،وكان قد إمتاز الأدباء في هذا العصر بالأصالة و الإبداع وذلك لصلتهم بالمنطق و الفلسفة مما ترتب عن هذه الصلة امتزاج العقل بالعاطفة في كثير من الآثار الأدبية منها نثرا و شعرا،وهكذا تزايدت القصائد التي تزدحم فيها الحكم أو إثارة فلسفية وكأن الشعراء في هذا العصر أصبحا يخضعون شعرهم للعقل أو الفلسفة أو المنطق و يكفي أن نرجع إلى بعض قصائد بشار بن برد و أبي العتاهية و أبي تمام لنقف عند هذه الظاهرة التي أصبحت تطبع الشعر العربي في بداية هذا العصر العباسي[1].

فبشار بن برد في حديثه عن صديق و الصداقة يبدو متأثر بابن المقفع في كتابه الأدب الكبير،فهو يستلهم الكلاميين في قوة الحجة و البرهان فيقول:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة و مجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت و أي الناس تصفو مشاربه [2].

إجمالا، نقول عن هذا الجيل من الشعراء أمثال أبو نواس ،أبو تمام و البحتري خاصة أنهم اغترفوا من الثقافات الدخيلة قد كان لهم فضل في إضفاء طابع جديد على الشعر شكلا أو مضمونا لما اتصفوا به من فكر راق و عقل سام تجسد في الحكم الواردة في ثنايا قصائدهم و بهذا الأسلوب في قرض الشعر مهدوا السبيل لإثراء الشعر و تنوير فكر الشعراء الذين جاؤوا بعدهم على دروب جديدة في النظم و قد يكون المتنبي أحد هؤلاء الشعراء الذين تأثروا بهذا المنتوج الشعري فمن الثابت الذي لا سبيل إلى رده أن أبا الطيب تفحص شعر الطائيين و في مقدمتهم أبو تمام الذي كان محط إعجابه حيث قال فيه(أنا و أبو تمام حكيمان،أما الشاعر فالبحتري)[3].

1- ينظر ضيف ، شوقي ، العصر العباسي الأول ، ص90/89.

2- فروخ ، عمر ، بشار بن برد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص17.

3- البديعي ، يوسف ، المنبي عن حيثية المتنبي ، تحقيق مصطفى السقاء ، دار المعارف ،القاهرة 1994ط3 ،ص143.

الـفـصــل الأول

الـمـتـنـبــي و عـصـــره:

1) مظاهر الحياة السياسية و الاجتماعية ،الفكرية و الأدبية في عصر المتنبي.

أ)- مـظــاهــر الـحـيــاة الـسـيــاسـيـة.

ب)- مـظــاهــر الـحـيــاة الاجـتـمــاعـيـة.

ج)- الـحـيــاة الـفـكـريــة و الأدبـيـة.

2) حـيــاة الـمـتـنـبـــي (نـشـأتــه و ثـقــافــتــه) .

1- مظاهر الحياة السياسية و الاجتماعية،الفكرية و الأدبية في عصر المتنبي:

أ) مظاهر الحياة السياسية: عاصر المتنبي بداية القرن الرابع الهجري منذ بدايته حتى تخطى نصفه الأول بقليل ، فشهد تعاقب الأحداث و تقلب السياسة و نشأة الدويلات نتيجة الضعف الذي أصاب الدولة العباسية،وقد بدأت عوامل الضعف تنخر جسم الخلافة منذ بداية القرن الثالث الهجري عند أقدم المعتصم بالله(217-227 هج)على إدخال العنصر التركي ليضرب به العنصر الفارسي و العربي، و بذلك أشعل فتيل التنافس بين هذه العناصر الثلاثة،و أخيرا سيطر العنصر التركي على الموقف واستولى الجند الأتراك على زمام الأمور في الدولة كما سيطروا على الخلفاء،و اخذوا يتدخلون في التعيين للمناصب العليا في الدولة ومن بينها الوزراء و الكتاب ،وقد وصل بهم الأمر إلى التدخل في تعيين الخلفاء و قتلهم(مثلما حدث للمقتدر و المستكفي) الأمر الذي أدى إلى إضعاف السلطة المركزية في بغداد،فسقطت سطوة العباسيين و تحركت الفتن الداخلية،فأخذت الولايات البعيدة بالاستقلال [1] .

فكان لهذه الولايات أن استقلت في شكل إمارات أو دويلات فأصبحت البلاد الإسلامية موزعة بين الإخشيديين و الحمدانيين و البوهيين،ولم تعد الخلافة في بغداد إلا اسمية تحكم في ظل الذعر و القلق و لم يعد للخليفة شيئ من هيبة الحكم و السلطان،بقدر ما أصبح ينشغل بلذائذ الحياة و العكوف عليها [2].

و البلاد من داخلها مضطربة،ليس فيها أمن المقام لكثرة معاناتها من الخصومة، وكل صاحب إمارة خائف على مصيره يخشى حاشيته و لا يعلم وجه التصرف في إمارته و عدو المسلمين متربص بهم في بيزنطة على الحدود الشمالية في صراع مع الحمدانيين.ولم تكن البلاد العربية و الإسلامية في هذا العصر غافلة عن رداءة وضعها السياسي،حيث أن الوعي السياسي قد اتسع و عرف الناس ما يتربص بهم من خطر و قد أدركوا أن الانقسام و الخلاف نهايته الضياع و لكن لم يكن في وسعهم الإصلاح وسط الضعف السياسي و الانحلال الخلقي و سيطرة حب التملك عند الحكام،فالإخشيديون أيام كافور أرادوا بسط نفوذهم على الشام غير أنهم وجدوا سيف الدولة داهية في السياسة،متمرسا بالحكم فتهيبوا جانبه و لم يعادوه لا سيما أن الخليفة في بغداد الذي رأى في سيف الدولة درعا له لم يحاسبه في إمارته التي أقامها بحلب،كما ترك أخاه نصر الدولة يقيم إمارة بأعالي العراق [3].

وكانت بلاد فارس متربصة بالعرب ما لبثت أن أطاحت بالعروبة حينما دب الضعف في هذه الأخيرة واستولى رؤساؤها على مصالح الإدارة والقضاء،وكان الحمدانيون منقسمين بين العمومة والتحاسد،فأبو العشائرغير قانع بإقطاع أنطاكية،وأبو فراس بمنبج،و قد أخذ يضمر لابن عمه سيف الدولة عداوة إذ رأى المتنبي قريبا ووجد نفسه بعيدا.

1- ينظر فاعور،أحمد صالح،الدولة الحمدانية في حلب،دمشق 1980،ص 167.

2- ينظر ضيف،شوقي،العصر العباسي الثاني ،دار المعارف،القاهرة 1975،ط 2،ص9.

3- أبو الخشب،إبراهيم علي،تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني،مطبعة الانجلوا ساكسونية،القاهرة،ص10.

وما كانت عليه الخلافة في بغداد دليل واضح على اضطراب السياسة في هذا العصر،حيث أن أبا حامد الأسفرائيني قاضيها الذي عاش حتى أواخر القرن الرابع و عاصر المتنبي و كان يتهيبه الخليفة و يحذره و قد تجاسر يوما فكتب إليه متوعدا (أنا أقدرأن أكتب إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث أعزلك عن خلافتك)[1] .و يتضح من هذا الموقف ضعف خلفاء بغداد في هذا العصر و ما بعده .

و إذن فقد عاش المتنبي في حقبة زمنية متعفنة هان فيها أمر الخليفة و الخلافة حتى نزل منصب الخليفة إلى الصبية حيث تولى المقتدر الخلافة و عمره لا يتجاوز الثالثة عشرة سنة فخضع لسلطان أمه التي قبضت على زمام الأمور،فتبع فساد الحكام حتى أن أبا جعفر بن شيرزاد حاكم بغداد كان يتستر على اللصوص كتأمينه للص حمدي المعروف بأحمد الدنف و قاسم معه المسروقات [2] .

و تميز هذا العصر باستقلال الولاة و الأمراء بولايتهم حيث صارت الموصل و ديار ربيعة و بكر ومضر في يدي الحمدانيين و كان من أشهر أمرائهم سيف الدولة ممدوح المتنبي،و استقل البويهيون بفارس و الري و من أبرز أمرائهم عضد الدولة بن بويه وكان معاصرا للمتنبي الذي رحل إليه في آخر أيامه حيث مدحه و مدح وزيره ابن العميد،كما انفرد نصر بن أحمد الساماني بخرسان و استقل الإخشيد بمصر و الشام ومن أمرائهم المعاصرين للمتنبي كافور و الذي رحل إليه المتنبي بعد غضب سيف الدولة عليه .وأصبحت الأهواز و واسط و البصرة في يد البريدي،وأنفرد عبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس كما سيطر أبو طاهر القرمطي على اليمامة و البحرين ولم تبق للخليفة سوى بغداد،و منذ استيلاء البويهيين عليها كانت لهم الكلمة العليا و أهمل الخليفة إهمالا تاما فلم يكن له سوى ذكر اسمه و الدعاء له بالمساجد [3] .

ومما يذكر عن الإضطربات السياسية في هذه الفترة تلك الثورات التي قام بها القرامطة و الزنج ،و قد انضم كثير من أهل البصرة و الكوفة إلا دعاة القرامطة ،هروبا من نير الإقطاع و تطلعا إلى حياة أفضل في ظل دعوة حمدان قرمط [4].

و استمرت ثورات القرامطة و إضطرباتهم من بداية دعوتهم باليمن و حتى ما بعد مولد المتنبي بكثير حيث عظم أمر أبي سعيد بن بهرام من كبار دعاة حمدان قرمط و الذي نجحت على يديه حركة القرامطة في منطقة البحرين حيث أسس دولته التي استمرت حتى سنة 358 هج،و ازداد أيام حكمه الفساد و السلب و النهب فما كان من زحف الروم على مدن ارزن بأرمينية و ميافرقين و نصيبين فقتلوا وسلبوا كثيرا [5] .

1- أبو العلا،مصطفى ،شعر المتنبي،دراسة فنية ،ص17.

2- ينظر ابن تغري بردي،جمال الدين أبو المحاسن يوسف،النجوم الزاهرة ،مطبعة البابي،القاهرة 1956،ج3،ص281.

3- ينظر فروخ ،عمر ،تاريخ الأدب العربي ،دار العلم للملايين بيروت 1975،ج 2،ص 34.

4- العياش ،سامي ، الإسماعليون في المرحلة القرمطية ،ص 121.

5- ينظر ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ص 215/3.

ازدادت أحوال البلاد سوءا في عهد المتقي مما شجع قائده (توزون) على خلعه ثم سمل عينيه ثم بايع عبد الله ابن و لقبه بالمستكفي بالمستكفي بالله ،ولم تكن خلافة المستكفي سنة 333هج باحسن حالا من سابقتها حيث كان لعبة في يد الترك و لم يطل به المقام في الخلافة، فدخل بنو بويه بغداد ة أصبحوا هم الحكام و القواد بعد أن خلعوه و جعلوا المطيع خلفا له،ولم يكن لهذا الأخير من الخلافة – أيضا - إلا اسمها،كما لم يكن عصر الخلفاء من بعده يختلف كثيرا عن عصره كالطائع ومن جاء بعده.

من الوزراء المشهورين في عصر الشاعر – أيضا –الصاحب بن عباد ،وزير بني بويه بالري، وكان محترما مبجلا من فخر الدولة و عرف عنه أنه من المعنيين بأهل الأدب و العلم وكانت له مكاتبات من الشعراء و الأدباء المشهورين آنئذ ،كالشريف الموسوي نصر و أبي إسحاق الصابي و ابن حجاج وابن سكرة و ابن نباته[1] .

إلا أنه أغضب أبا حيان التوحيدي و انتهت علاقتهما بأن كتب أبو حيان رسالة في ذمه و هي من أحسن ما كتب في تصوير شخصيات الناس في القرن الرابع [2].

و مما عرف عن هذا الوزير أيضا الحسد و الحقد خاصة على أهل الفضل و الكفاءة و يبدو ذلك جليا في رسالته التي سماها (الكشف عن مساوئ المتنبي)بما فيها من تحامل و تعصب ،أما ابن العميد فهو من أعظم الوزراء الذين عاصرهم المتنبي ،قال في الشعر جده و هزله كما كان عالما بالفلسفة و المنطق و الإلهيات ،و مع هذا كان مضطلعا بأمور الملك و الوزارة .يقود الجيوش،و يحضر المعارك ،حسن الخلق قوي الشخصية ،استطاع كبح جماح الديلم ،وهذا ما يفسر مدح المتنبي له بعد قدومه عليه بفارس بأربع قصائد من ديوانه،وهو آخر الوزراء الذين عاصرهم المتنبي قبيل مقتله [3] .

1- ينظر الثعالبي،يتيمة الدهر،ص 188/3 .

2- متز،آدم ،الحضارة الإسلامية ،ص 199/1.

3- ينظر المرجع نفسه ،ص 194.

ب) مظاهر الحياة الاجتماعية:

لما كان المتنبي من حيث هو إنسان و شاعر إفرازا للعصر الذي عاش فيه ببعديه السياسي و الاجتماعي ،فإن الدراسة العلمية الأمينة تستوجب التطرق إلى مظاهر الحياة الاجتماعية وذلك من أجل تعميق فهمنا لمنتوج حكمه المتصلة بالجانب الاجتماعي .

وللحديث عن الوضع الاجتماعي الذي ساد المجتمع العباسي خاصة في القرن الرابع الهجري ،جدير بالذكر القول بأن هذا المجتمع كان موزعا على ثلاث طبقات أساسية :طبقا عليا تشتمل على الخلفاء و الوزراء و القواد و الولاة و من يلحق بهم من رجال الدولة و الأمراء و رؤوس التجار و أصحاب الإقطاع من الأعيان و ذوي اليسار،و طبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش و موظفي الدواوين و التجار و الصناع الممتازين،ثم طبقة دنيا تشتمل على العامة من الناس من الزراع و أصحاب الحرف الصغيرة و الخدم و الرقيق،و يأتي في إثر تلك الطبقات أهل الذمة [1].

وقد ساد الطبقة الأولى ضرب من الترف حيث كانت تعيش في قصور فاخرة محوطة ببساتين غناء ، يحرسها حراس أقوياء و يخدمها الرقيق و الجواري .وللتعرف على ما كان يسود هذه الفترة من مبالغة في إتلاف الأموال و نفقتها بإسراف نورد ما ذكره(الصابي)في كتابه الوزراء ورسوم دار الخلافة ،إثباتا لما كان ينفق على حواشي الخليفة و داره في عصر المعتضد (295-320هج)فقد كان المقتدر ينفق على القصر و الحرم و الخدم أكثر من ستين ألف دينار شهريا،و كان ينفق على المطابخ الخاصة و العامة أكثر من عشرة آلاف دينار شهريا،بل قد يبلغ ذلك من ثلاثين ألفا [2] .

ولهذه الظروف كثرت المظالم أثناء هذه الفترة نتيجة للفساد الذي طغى على الحياة خاصة فساد الوزراء و القادة ،فأحسة الطبقة الدنيا من الأهلين بالظلم ،فضلا عن نظر المجتمع اليهم باحتقار وكانوا يعيشون عيشة بائسة ،فهم الطبقة التي تعمل ولا تتقاضى حق عملها لقاء الجهد المبذول ،و ليس لها إلا العناء الذي تلاقيه في خدمة طبقة الإقطاعيين المترفين دون عناية كثيرة بالعمل شأنهم شأن الطبقتين العليا و الوسطى مما دفع هؤلاء المقهورين إلى الثورة على هذا الظلم،كما فعل الزنوج و القرامطة و أهل البصرة في عهد الخليفة المعتضد حيث أرسلوا وفدا إلى هذا الخليفة يشكون إليه ما نزل بهم من محن الزمان ومن جور و ظلم و يطلبون منه العون و الغوث .

وإذا ما عرجنا بالحديث على قطاع حيوي كثيرا ما يشكل قوة أو ضعف الأمم عبر التاريخ فإننا نقف على قطاع القضاء لنتفقد و ضعه في هذا العصر. وما يجب الإقرار به هو أن قدر القاضي قد عظم منذ العصر العباسي الأول حتى أن الوالي هو الذي كان يحضر مجلس القاضي ،فكان للقضاء مكانته في هذا العهد و كثيرا ما توارث هذا المنصب في أسرة واحدة كأسرة أبي الشوارب في بغداد و أسرة أبي بردة في فارس مما زاد من شوكة هذه الأسر و كان من عيوب هذا النظام أن اعتلى مكانه من لا يستحقه كأبي العباس بن أبي الشوارب الذي اتهم بالشهوات و الخمور .وكان بجانب القضاء نظام النظر في المظالم و هو حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه يدا و كان كافور الإخشيدي ممن يجلسون في المظالم مما كان يشل من حركة القاضي ،وكان من الطبيعي أن ينتشر الفساد و الانحراف و المظالم في مجتمع تضيع فيه هيبة القضاء و يهون فيه شأن القاضي [3].

---

1 – ضيف،شوقي،العصر العباسي الثاني،ص 53.

2 – المرجع نفسه ،ص 54.

3 – ينظر ،أبو العلا ،مصطفى ، شعر المتنبي ،ص 23 / 24 .

وباعتبار أن المرأة تؤدي دورا هاما في الحياة الاجتماعية نتطرق إلى وضعها في هذا العصر .
سادت ظاهرة استرقاق الجواري المجتمع العباسي في القرن الرابع هجري ،و لكن الجديد في وضعهن أنهن أصبحن منافسات للنساء الحرائر الأمر الذي أحدث نكبات شملت الخلفاء و الأمراء،و قد لا نبالغ إذا قلنا بأن الرق و التسري كان من أهم الأسباب التي جعلت المجتمع العباسي يصاب بمحن أخلاقية كسرت سلم قيمه إذ ارتقى بعض العبيد في هذا العصر إلى مزاحمة السادة في القيادة و الحكم ،و كان منهم القائد و الأمير مثلما هو معروف عن كافور و غيره [1].

1- ينظر ضيف ،شوقي، العصر العباسي الثاني ،دار المعارف القاهرة 1975،ط2،ص 53.

ج) الحياة الفكرية و الأدبية:

إن ما يميز الحياة الفكرية في القرن الرابع الهجري هي تلك الحركة العلمية النشطة التي سادت هذا العصر وقت نشأة الشاعر أبي الطيب المتنبي ،فقد كان لهذه الحركة العلمية أثر عظيم في تكوين عقله و تشكيل شاعريته و إثراء فنه .

وقد امتدت جذورها بمجاليها الفكري و الأدبي إلى بداية الخلافة العباسية ،حيث أسهم الخلفاء الأوائل بنصيب كبير في بعث الحياة الفكرية و الأدبية ،فشجعوا حركة البحث العلمي،وعمل أبو جعفر المنصور و من جاء بعده على نقل الذخائر العلمية التي تركها الإغريق و الرومان و الفرس و الهنود و غيرهم إلى اللغة العربية،حتى إذا ما جاء عصر الرشيد ،نشطت حركة الترجمة و النقل فترجمت كتب اليونان وأعيد ما ترجم أيام المنصور.حتى إذا كان عهد المأمون نجد جمهرة من المترجمين قد تقاطرت على دار الحكمة في بغداد،وقد شجع الخليفة العالم هذه الحركة العلمية القوية فكان يحوط العلماء بعطفه و رعايته إذ فتح لهم خزائن المال ليغدق عليهم منها استحثاثا منهم لهم على نقل هذا التراث إلى اللغة العربية.

وكذلك نقل التراث الضخم في الطب و الفلسفة و المنطق و الأخلاق و السياسة و الفلك والرياضيات و التشريح و النبات و الحيوان و غيرها من العلوم التي لم يكن للعرب بها عهد [1] .

وما إن وصلنا إلى القرن الرابع الهجري حتى برز مترجمون مهرة من بينهم :أبو بشر متى بن يونس الذي ترجم كثيرا من كتب أرسطو و كتب شراحه ، ومـن تلامـذتـه الفـارابـي الذي كتب في المنطق و الأخلاق و نقل كتاب النواميس لأفلاطون .

وقد كان لهذه الحركة العلمية نزعتها الفلسفية و المنطقية في الفكر العربي في عصر المتنبـي ، ومن المرجح أن هذه الفلسفة انتقلت إلى العرب عن طريق الترجمات السريانية التي كانت سببا في استقرار كتب بقراط و جالينوس و منطق أرسطو،ولم يكن نقل هذه الفلسفات و المؤلفات في عصر هارون الرشيد أو المأمون فحسب بل استمرت حركة الترجمة التي حمل لواءها حنين بن إسحاق دون انقطاع إلى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري [2] .

وقد ذكر القفطي العديد من المصنفات اليونانية في الفلسفة و المنطق و الحكمة المنقولة إلى العربية عن طريق مباشر أو عن طريق السريانية مشيرا إلى النقلة و الشراح لهذه الآثار [3] .

1- ينظر ضيف،شوقي،المرجع السابق،ص 115.

2- ينظر ضيف ،شوقي، الترجمة الشخصية،دار المعارف ،القاهرة ،1970،ط 2، ص 12.

3- القفطي ،جمال الدين أبو الحسن،إخبار العلماء بأخبار الحكماء،دار الآثار للطباعة و النشر،بيروت،ص28/22.

كما شهد هذا العصر ظهور المتكلمين و أصحاب المذاهب و الآراء الذين أفسحوا مجال التأثير للفلسفة في مذاهبهم الكلامية مثل معمر بن عباد السلمي و هو من أصحاب مذهب المعاني ،و أبي هاشم الجبائي الذي تناول تحليل صفات الله و انفرد فيها بمذهب خاص متميزا عن المعتزلة[1].

و عرف هذا العصر أيضا ظهور الأشاعرة المعارضين لمذهب الاعتزال و المنكرين كل فعل للطبيعة وكذلك إخوان الصفا الذين حاولوا المزج بين الفلسفة و تعاليم الدين [2] .

وقد كان وراء هذا النشاط الفكري في عصر المتنبي عدة عوامل أهمها – فيما نرى – تنوع مصادر الثقافة و تعدد المذاهب الفلسفية الواردة،ثم اختلاف الآراء و تعددها في الفكر العربي و الإسلامي.

وكما ترجمت و نقلت الثقافة اليونانية لاسيما الفلسفة منها – كما سبق الذكر – فقد ترجم المسلمون الحكم الفارسية و الهندية و خاصة في أيام أبي جعفر المنصور و الرشيد و قد نقل عبد الله بن المقفع بعض قصصهم و أساطيرهم . كما أطلع المسلمون على آرائهم في المنطق وما بعد الطبيعة "وكان للرياضيات الهندية و التنجيم المتصل بالطب العلمي و بالسحر أكبر الأثر في بواكير الحكمة العقلية في الإسلام" وذلك بعد نقل هذه الحكمة الهندية إلى العرب فليست "الحكم عند تابوت الإسكندر و التي تأثر بها أبو العتاهية في قصيدته ذات الأمثال إلا مجموع حكم اليونان و الفرس و الهند و غيرهم من علماء الأمم"[3] .

وقد أشار د.إحسان عباس إلى تحوير الحكم و الأمثال اليونانية من النشر العربي إلى الشعر العربي حيث تم ثلاث تيارات . يتمثل التيار الأول في النقل المباشر كنقل أبان اللاحقي كتاب كليلة و دمنة إلى الشعر، و التيار الثاني رأي في حكم و الأمثال تركة شعبية خالصة أهميتها في ذاتها و ليست في مصدرها ،ولكل إنسان الحق في الأخذ منها و التصرف فيها ،أما التيار الثالث فيتمثل في التضمين و الاقتباس للحكم الأجنبية عن طريق الإفادة من الثقافة الأجنبية كما عمل أبو العتاهية في أرجوزته ذات الأمثال [4] .

1- أمين، أحمد،ضحى الإسلام،دار الكتاب العربي ،بيروت،لبنان،جزء 3،ص 8 .

2- المرجع نفسه،ص 23.

3-عباس إحسان ،ملامح يونانية في الأدب العربي ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت 1977،ص 16.

4- المرجع نفسه ،ص 133.

ومن ثم لا يستطيع أحد أن يجزم بحكم قاطع على الحكم المنقولة إلى الشعر و لا يمكن أن يطمئن المرء إلى القول في أن هذه الحكمة أو تلك مأخوذة عن أصل يوناني أو غيره ،فقد تنسب الحكمة الواحدة مرة إلى الفرس ومرة إلى اليونان و تارة أخرى إلى الهند ثم نجدها أيضا ذات أصول راسخة في البيئة العربية منذ عهود قديمة.و"كتاب الأدب الكبير"-مثلا- يوضح مدى التماثل بين كثير من الحكم الفارسية وما نقله العرب من حكم اليونان [1].

وإذا كانت الحكمة قد ارتبطت أكثر بثقافة الفرس و الهنود فلا يعني هذا عدم ارتباطها بغير هذه الثقافة كاليونان وثقافتهم فإذا أمعن الباحث في "كليلة و دمنة"يرى الكثير منها اقرب ما يكون لحكمة اليونان [2].

ومن ثم نرى أن كليلة و دمنة اقرب ما تمثل التراث الحكمي العالمي:فليست وقفا على ثقافة معينة حتى ولو كانت بلغتها . وكما أن كتاب "الأدب الكبير"يؤكد هذا المعنى حيث امتزجت فيه الحكمة اليونانية بحكمة العرب و الفرس [3] .

أما انتساب معظم حكم هذا العصر إلى أرسطوطاليس– كما فعل الحاتمي بالربط بينها وبين شعرالمتنبي- فعلى أساس أن أرسطو يمثل النموذج الأعلى مثلما كان هو ميروس النموذج الأعلى للشعر اليوناني .

ولعل الذين ذهبوا إلى نعت المتنبي بالحكم و في مقدمتهم ابن خلدون إنما اعتمدوا على كون المتنبي تفرد عن سائر شعراء عصره بتمثل المصطلحات الحكيمة و الفلسفية الدخيلة في الثقافة العربية ومن ثمة جاء شعره ثمرة طبيعية لهذا اللقاء الثقافي و لتلك الفلسفات و المذاهب المتنوعة،فعبرعن ذلك كله في شاعرية متميزة لما توافر عليه من خصوبة التفكير و ثراء التعبير.

وقد ترتب عن هذا التمازج بين الثقافة العربية الإسلامية و غيرها من الثقافات الأعجمية - منذ بداية القرن الرابع الهجري – ظهور بعض الفرق و المذاهب ذات الآراء المعارضة لأفكار المعتزلة " فظهرت الحركة الأشعرية في العراق سنة300هج و الماتريدية سنة 333هج في الأقاليم الشرقية و الطحاوية سنة 331هج في مصر .وتكاد تدور هذه الحركات الثلاث في فلك واحد ألا و هو الدفاع عن عقيدة السلف و مواجهة النزعة العقلية المفرطة للمعتزلة "[4] .

1- ينظر المرجع السابق ،ص 139.

2- عباس ،إحسان ،المرجع السابق ،ص 17/16 .

3- المرجع نفسه ،ص 144.

4- أبو ريان ،محمد ،تاريخ الفكر الفلسفي ،دار النهضة العربية،بيروت 1993،ص 198.

ولم يصل الأشاعرة إلى ما وصلت إليه الظاهرية أو الحشوية في الجمود و إتباع الظاهر بل كانوا وسطا بين عقلانية المعتزلة و جمود الظاهرية ومن ثم كان هناك ثلاثة مذاهب يمثلون ثلاث اتجاهات مختلفة[1].
كما ظهرت ثلاث مسائل كان على الأشاعرة تحديد رأيهم منها ألا وهي مشكلة خلق القرآن و نفي إمكان رؤية الله في الآخرة و مسألة حرية الإرادة الإنسانية (الاختيار)وهي المسائل التي دار حولها جدل المعتزلة – أضف إلى ذلك – ما قام به الماتريدية إلى جانب الأشاعرة في الدفاع عن أهل السنة و مناقشة الأشاعرة لفكرة معرفة الله و الشفاعة و الإمامة إلخ .
ومن الثابت أن العرب قد عرفوا الفلسفة الطبيعية،تلك التي استمرت حتى القرن العاشر الميلادي [2] .
ويرى الرازي ،وهو من اكبر ممثلي هذه الفلسفة ،إن الشر في الوجود أكثر من الخير..كما يعرف اللذة بأنها ليست سوى الراحة من الألم [3] .
ومن المعروف عن الرازي انه كان يهاجم كلا من الدهرين الذين لا يؤمنون بخالق الكون و كذلك الموحدين لإنكارهم قدما غير الله ،كالنفيس التي كان يرى قدمها.
كما ظهر في القرن الرابع الهجري – أيضا –جماعة إخوان الصفا و رسائلهم حيث حاولوا المزج بين الفلسفة الطبيعية و تعاليم الدين على نحو جعل من ذلك ما يعتبر فلسفة للدين .
ومن ثم كان الثراء الفكري و تعدد الثقافات و اختلاف المصادر و الروافد للحياة الفكرية وقتئذ،وزاد تعدد الآراء و المذاهب و تنوع النظريات و الفلسفات و كثرة الجدل حول هذا و ذاك مما لا يتسع المجال لذكره ،ومن ابرز المسائل التي دار حولها الجدل ،موضوع النفس الإنسانية و علاقتها بالروح و الجسد.
ومن المعروف إن أفلاطون كان يقول ببقاء النفس ،و كونها جوهرا روحيا،و هذه الآراء لا تتعارض مع عقيدة المسلمين [4].
أما أرسطو فكان مذهبه في أمر النفس وفي الأخلاق أقل روحانية من مذهب أفلاطون لذلك لقي مذهب أرسطو رفضا من بعضهم فأفردوا مؤلفات خاصة بذلك ثم ظهر فيما بعد رفض المذهب الأفلاطوني القائل بتفرد النفس الكلية في العالم،وانتمى إلى مذهب أرسطو الذي يعلي من النفوس الجزئية ثم كان لفلاسفة المسلمين و مفكريهم أن تناولوا موضوع النفس الإنسانية مناقشة و تحليلا وذاعت آراؤهم في الحياة الفكرية ،و من أبرز هؤلاء:الكندي ،الفارابي ،إخوان الصفا و الرازي .
وهكذا ،عاش المتنبي في عصر أقرب ما يكون بعصر التنوير،حيث إنه عصر متعدد الثقافات،متنوع الأفكار ،مختلف الفلسفات،حافل بالمتناقضات ،و بالنظر إلى ما يعرف عن المتنبي من حدة الذكاء و ثراء الفكر و نفس متمردة و عبقرية شعرية فلا بد أن مثل هذا الشخصية و قد عاشت هذا العصر أن تتلون و تتشكل نفسيا و فنيا بلون متميز ظهرت ملامحه في شعره شكلا و مضمونا .

1- موسى ،جلال ،نشأة الأشعرية و تطورها ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1977،ص 187.
2- ينظر دي بور ،توماس جون ،تاريخ الفلسفة في الإسلام ،ترجمة محمد عبد الهادي ،دار القلم،بيروت،ص 110.
3- المرجع نفسه ،ص 117.
4- المرجع نفسه ،ص 156.

وإذا كانت الحركة العلمية قائمة على أشدها في العصر العباسي الثاني،فإن الحركة اللغوية و الأدبية لم تكن اقل شأنا منها ،حيث إن هذا العصر كان بداية لمنهج حديث و منظم في العلوم اللسانية تأثيرا بالنحو اليوناني . وقد ميز أبو سليمان السجستاني النزعة الجديدة في النحو بان قال : " نحو العرب فطرة و نحونا فطنة " [1] .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن هذه الفترة سبقت بمرحلة ظهور المعاجم التي تحصى كلمات اللغة و توضيح معانيها مثل"معجم العين" المنسوب للخليل بن أحمد،و"الجمهرة في اللغة" لابن دريد،وكتاب الألفاظ الذي يهتم بالغريب و المهجور من الألفاظ لابن السكيت كما جمعت أيضا دواوين الشعراء وصنفت المختارات التي تجمع بين الشعر و النثر كالكامل للمبرد،ثم كانت إضافة الجاحظ الأفكار الجمالية و البلاغية إلى فكرة التعليم اللغوي وذلك في كتابه " البيان و التبيين " وألف ابن قتيبة " عيون الأخبار" مازجا فيه بين الأفكار العربية و اليونانية و الفارسية .[2] .

حتى إذا كان القرن الرابع الهجري شهدنا تأليف تعلب لكتابه " الفصيح " و قدامة بن جعفر لكتابه " جواهر الألفاظ "،و يحتوي الأول على الصوغ الفصيح كما يجمع الثاني الصوغ البليغ .

هذا و قد انتشرت مناهج مدرستي الكوفة و البصرة و أفكارهما ناهيك هن ظهور المدرسة البغدادية التي أخذت من المدرستين مع شيء من الإبلاغ . و كانت مدرسة البصرة هي الأساس في بناء النحو العربية و صوغه ،ومن ثم اعتمدت عليها بقية المدارس التي ظهرت بعدها مع شيء من التميز و الاختلاف في بعض المسائل " من حيث بسط القياس و قبضة ومن حيث الاتساع في الرواية و من حيث وضع بعض المصطلحات الجديدة،ومن حيث تلقيب بعض العوامل و المعمولات .[3]

ومن الدراسات التي استحدثت في القرن الرابع الهجري " الاشتقاق الأكبر ")- ومحور هذه الدراسة مادة الكلمة دون هيأتها – و غيرها من الدراسات التي ابتدعها و ألف فيها أستاذ هذه المباحث اللغوية ابن جني الموصلي كما هو الحال في كتابه المسمى بـ" الخصائص" و الذي يحوي أبوابا في اختلاف اللغات و تعددها و اللغة المأخوذة قياسا ،و قلب لفظ إلى لفظ، وفي زيادة الحروف و حذفها ، كما يتضمن بابا في شجاعة العربية بما فيها من حذف و حمل على المعنى ،و إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد.[4]

1- القفطي،إخبار العلماء بأخبار الحكماء ،ص 186.

2- ينظر أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، ج1،ص374.

3- ينظر ضيف ،شوقي ، المدارس النحوية ،دار المعارف ، القاهرة ،1968 ،ص 158 / 214.

4- ابن جني ،أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق علي النجار ،دار الهدى للطباعة ،القاهرة ،ج2 ،ص332.

و بالطبع ،لم تكن هذه المعارف غائبة عن المتنبي ،فقد اطلع على هذه المباحث و ما فيها من مشكلات لغوية و مرونة و عرض للضرورات و غير المألوف من الألفاظ و التراكيب و الأساليب ، كما درس مذاهب كل من البصريين و الكوفيين و البغداديين وما حوته هذه المدارس من مصطلحات جديدة ،و قياسات و توسعات و اختلاف في وجهات النظر المتعددة ،كما وعي ما فيها من غريب أو شاذ مباح .
و سنوضح فيما بعد مدى استفادة الشاعر مما أباحه اللغويون و أنه استوعب هذه الثقافة باقتدار ضارع فيه اللغويين أنفسهم ، وعرف ما فيها من ضروريات حسنة أو قبيحة و استخدمها في شعره في براعة تصل إلى حد العبقرية و التفرد ، و قد كان ذلك و راء ما دار من جدل حول لغة المتنبي الشعرية من حيث الصواب و الخطأ وما إلى ذلك .
ولما عاش المتنبي في أزهى العصور العربية علما و أدبا حيث كان للشعراء و الأدباء مكانة رفيعة عند الحكام و الأمراء من أمثال الأمير سيف الدولة ، فقد انعكست مظاهر هذه العصر على إنتاجه الفكري و الأدبي .
و أسهم في تشكيل نتاجه الشعري عموما و شعر الحكمة عنده خصوصا و لاشك في أن إنارة الحديث عن حياته سيساعد على فهم معاني شعره و يزداد الفهم أكثر عند الوقوف على أهم محطات حياته هذه.
وضمن هذا المسعى كان لزاما علينا أن نعرج بالحديث على نشأ ته و أهم مراحل حياته .

2) حياة المتنبي (نشأته و ثقافته):

مما شيا مع هدف البحث ،سنتناول الحديث عن حياة المتنبي من الجانب الذي يساعدنا على تسليط الضوء على ميله إلى شعر الحكمة و النبوغ فيه :

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي سنة 303 هج بالكوفة في حي كندة ،ولذلك نسب إلى هذا الحي أو إلى الكوفة ، فقيل له الكوفي الكندي ، ليست نسبته الأخيرة إلى قبيلة كندة كما قد يتبادر إلى الدهن و لكنها إلى ذلك الحي الذي ولد فيه . وهو حي نزله المهاجرون العرب الذين نزحوا أيام الفتوح إلى هذه البقاع ، وهم من أصل يمني من كندة فسموا منازلهم الجديدة بأسماء منازلهم الأولى للذكرى و الحنين [1] .

وفي شعر أبي الطيب ذكريات في هذا الحي من الكوفة و كان مفارقا له فقال فيه يحن إليه :

أمسنيَ السكون و حضر موتا و والدتي وكندة و السبيعا [2] .

وكل هذه أماكن بالكوفة ذاتها عرفها المتنبي في نشأته و صباه . و المتنبي صحيح النسب في عروبته من جهة أبيه و أمه ،و بطولهما كانت معروفة بالكرم و الفروسية ،و لها أيام مقرونة بالحمد و الذكر و قد ورث الإباء و العنجهية عن قومه الذين قال فيهم :

و إني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم و العظام [3] .

وقد نشأ المتنبي نشأته الأولى بالكوفة و كان يتردد بين البادية و الحضرة فاكتسب من الأولى صلابتها و نزعتها البدوية ومن الثانية علومها و ثقافته [4] .

وقد ذكر الثعالبي (الذي ولد قبل المتنبي بأربع سنوات):أن أباه سلمه إلى المكاتب و ردده في القبائل ،فنشأ المتنبي في خير حاضرة. و الكوفة أرض ذات طبيعة جميلة حببت إلى كثير من المسلمين البقاء بها فآثروها عل غيرها ، وقد اتخذها أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه قاعدة أمره .

تلقى الشاعر تعليمة الأول بالكوفة في كتاب الشيعة العلويين حيث درس مبادئ الدين على نحو ما يفرضها وضع الكتاب . وقد كان القرآن الكريم المادة الأساسية في ثقافته وقد تضافرت عوامل عديدة إلى دراسة القرآن الكريم، فنشأة الشاعر المبكرة في الكوفة هيأت له هذه العلاقة المبكرة بكتاب الله العظيم، و طبيعة تكوينه الفكري بوصفه شاعرا وهب نفسه لفن النظم .

كما كان اهتمامه بالنحو و اللغة العربية دافعا لحفظ أجزاء كبيرة من القرآن الكريم ، وقد كان يعتمدها في المناقشات التي كانت تدور بينه و بين من أملى عليهم ديوانه .

وقد انعكس حفظه القرآن الكريم في بعض أشعره على نحو ما جاء في قوله :

لو كنت بحرا لم يكن لك ساحل أو كنت غيثا ضاق عنك اللوح [5] .

1- ينظر مصطفاوي ،موهوب ،المثالية في الشعر العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر1982 ،ص 694.

2- البرقوقي ،عبد الرحمن ،شرح ديوان المتنبي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1986،ط 2،ج2،ص 364.

3- ينظر الثعالبي ،أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل ،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،دار الكتب العلمية،بيروت 1979 ، ج1 ،ص161 .

4- المصدر نفسه ،ص 162.

5- العكبري ،التبيان في شرح الديوان ،ضبط مصطفى السقا ،مطبعة مصطفى البابي،مصر ،1971،ج1 ،ص 254.

و خشيت منك على البلاد و أهلها ما كان أنذر قوم نوح نوح

فهذا مأخوذ من قوله تعالى :" **أن انذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم** " سورة نوح ، الآية 01 .[1]

وقال مشيرا إلى النصارى الذين يؤمنون بعقيدة التثليث التي أشار إليها القرآن الكريم في قولة :

" **و قالت النصارى المسيح ابن الله** " – سورة التوبة ، الآية 30 .[2]

أرى المسلمين مع المشركيـــ ـــن إما لعجز و إما رهب [3] .

و أنت مع الله فـــي جـــــانب قليل الرقاد كثير التعب

كأنك وحـــــدك و جـدتـــــــه و دان البرية بابـــن و أب

وعندما رحل المتنبي عن الكوفة ،اعتبر بعض النقاد و في مقدمتهم د . طه حسين بأن هذا الرحيل لم يكن بريئا حيث يقول:" وليس من شك عندي في أن المتنبي لما تقدمت به السن قليلا ، قد عرف من أمر نفسه ، ومن أسرته ما أنكره و ما لم يستطيع أن يقيم معه في الكوفة فآثر الرحيل " [4] .

و من خلال هذا الكلام يستشف أن د. طه حسين يشك في نسب الشاعر في شيء من الغموض و الإبهام و لعله يزيد الأمر وضوحا حين يقول في موضع آخر :" إن مولد المتنبي كان شاذا،و إن المتنبي أدرك هذا الشذوذ ،و تأثر به في سيرته كلها ،و لم يستطيع أن يلائم بين نفسه الشاذة ، و بين البيئة الكوفية التي كان يراد له أن يعيش فيها [5] .

ومن هذا يتضح لنا أن د.طه حسين يتهم المتنبي بأنه ابن غير شرعي فنسب إليه الشذوذ ، غير أننا نرى أن الشذوذ الذي نسبه د.طه حسين إلى المتنبي لا يقوم على دليل ثابت ،و إن هذا الشذوذ لا يعدو أن يكون امتيازا و تفوقا .

و يقول د. شوقي ضيف: لقد شكوا في نسب المتنبي لأنه ليس في أشعاره أي إشارة لأبيه و أمه و هذه مقدمة لا تحتم النتيجة ، إذا يشرك المتنبي في ذلك كثير من الشعراء العباسيين الذين لا يشك في نسبهم العربي أمثال البحتري حيث إن ديوانه يخلو من الحديث عن أبيه و يخلو من ذكر أمه ، فهل ترتب على أنه كان متهما في نسبه .

لقد أخذ المتنبي أكثر علمه من ملازمة الوراقين ،فكان علمه من دفاترهم و كان المتنبي طلعة ، يكثر من الإطلاع على غريب اللغة و حوشيها ، و لا يسأل عن شيء إلا و استشهد فيه بكلام العرب من النظم و النشر حتى قيل : "إن الشيخ أبا علي الفارسي صاحب " "الإيضاح و التكملة " قال له يوما : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فقال المتنبي :حجلى و ظربى قال الشيخ أبو علي : طالعت كتب اللغة ثلاث ليال علي أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد " [6] .

1- سورة نوح ، الآية 1.

2- سورة التوبة ، الآية 30.

3- العكبري ،التبيان في شرح الديوان ،ج1 ،ص 346 / 347.

4- حسين ، طه ، مع المتنبي ،دار المعارف ،القاهرة ، 1980 ،ط2 ،ص 18 .

5- المرجع نفسه ، ص 25 .

6- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ،1986 ،ج1 ،ص 120

ولا عجب في هذا الموقف، فقد كان شاعرنا محبا للعلم ،فلم يترك بابا من أبواب الكتب إلا قرأه كالأدب و اللغة و الفلسفة و المنطق و لقي الكثير من أكابر العلماء كالزجاج ،و ابن السراج و الأخفش ،وابن دريد ،و أبي علي الفارسي و ابن جني و غيرهم .[1].

وجدير بالذكر القول بان أبا الطيب كان متورعا في خلقه لا يخرج عن حدود الوقار، متزمتا لا يلين للشهوات و لا يلقي لها بالا ، مترفعا عن سفاسف الأخلاق ، متمسكا بمعاليها ، أخذ نفسه بالجد الذي لا يضعف ، وكان يقرب التهم و لا يدانيها .
وقد قال عنه علي بن حمزة : " بلوت من أبي الطيب بثلاث خصال حميدة و تلك أنه ما كذب و لا زنا و لا لاط " [2] .

و الحقيقة أن الأمر كذلك بالنسبة إلى شاعرنا هذا،فقد خالف الأدباء و الشعراء من أهل عصره،فما شرب الخمر ،و لا حمل وزرها و كان منصرفا للعلم ،قارئا محققا لدقائقه ،طويل النظر فيما يمر به من أحداث الزمان ،كثير الاهتمام بأمر الأمة التي هو منها .
حاول المتنبي في أول حياته أن يثور ضد نظام الحكم عله يحقق أحلامه السياسية ،غير أنه أخفق ،فقد قضى على ثورته لؤلؤ والي حمص ،وزج به في السجن ،وظل فيه عامين ثم استتابه الوالي و أطلق سراحه [4] .

وفي هذه المرحلة نظم شعره الذي كان يدعو فيه إلى إعادة الحكم العربي الإسلامي من العجم وفي هذه المرحلة تحدى الأمراء و الملوك،و تعرض لهجائهم فاعتبرهم أرانب لهم جسم البغال وأحلام العصافير:
ودهر ناسه ناس صغار و إن كانت لهم جثث ضخام [5] .

1- ينظر المقدسي ،أنيس ،أمراء الشعر العربي ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1981 ، ط9 ،ص 328.
2- شاكر ،محمود ،محمد ،المتنبي ،طبعة المدني ، القاهرة ،1986 ،ج 1ص 39.
3- البرقوقي ،شرح ديوان المتنبي ،ج3 ،ص 294.
4- المصدر نفسه ، ج1 ،ص 29.
5- العكبري ، التبيان في شرح الديوان ، ج 4 ،ص 70 .

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
أرانب غير أنهم ملـــوك مفتحة عيونهم نيام

و يصف ما وصلت إليه الأمة العربية الإسلامية ،تحت حكم الأعاجم ،لذلك نراه يدعو إلى تعرية الحكام المتسلطين على مصير الأمة الإسلامية بالطريق الذي يحقق مصيرهم المنتظر، الطريق الذي يؤكد ضرورة اجتماع كلمة الأمة و عودة سلطانهم و إعادة الخلافة العربية الإسلامية و طرد الأعاجم :

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم [1] .
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم

وكان الشاعر يؤمن بمبدإ القوة مند صباه و بقي ملازما له حتى نهاية حياته ،بالرغم من بعض التغيرات التي طرأت عليه ،لقد وجد المتنبي بلاد الشام مسرحا لمد، و جزر بين الإخشيديين و بين ولاة الخلافة العباسية و أنصارها من الجنود،فتارة تصبح هذه المدينة أو تلك تابعة للإخشيد و تارة للخلافة ،و الناس يفرض عليهم من الخنوع و البؤس و الشقاء ما لا يطيقون فيحثهم الشاعر على الثورة و التمرد، و لكن دون جدوى . ولقد كان أشد ما يغيظه أن يجد المسلمين من حوله متواكلين مستسلمين لحكامهم فأخذ ينفخ فيهم و يحثهم على الثورة و العصيان .

أرى أناسا محصولـي علـى غـنـم وذكـر جـود و محصولي على الكلم [2] .
سيصحب النصل منـي مثل مضربـه و ينجلـي خبري عن صمـة الصميم
لأتركن وجـوه الخيـل ساهمـــة و الحرب أقـوم مـن ساق على قدم
بكل منـصلت مـازال منـتـظـري حتـى أدلت لـه من دولـة الخـدم
شيـخ يرى الصلوات الخمس نافلة و يستحـل دم الحجـاج فـي حـرم

حدث المتنبي أن رحل إلى بغداد دون رضا جدته ،فشهد ألوانا من الخطوب و الأحداث من تنازع الأمر بين الموالي و الولاة ،و كان يرجو هنالك نصيبه من الرزق يمدح من يستحق المدح فتأبى على هؤلاء المتنابزين المتربصين و رفض أن يثني بشعره على أحد منهم،بل زاد حقده و ثارت هواجسه ،وقد صور هذا الشعور في أبيات كثيرة موزعة في قصائده .

وتضيق عليه بغداد ،فيرتحل إلى بادية الشام و يجول في مدنها و قراعا طائفا بين أرجائها الأمر الذي أكسبه تروة لغوية و فصاحة في التعبير و يترل بدمشق ،وقد مر بحلب و إنطاكية و اللاذقية حيث احتفى به نفر من الأعيان و الكبراء كسعيد بن عبد الله الكلابي،و أبي المنتصر الأزدي ،و بدر بن عمار الأردني ،ومحمد بن زريعة الطرسوسي و غيرهم ،وقد مدحهم بشعره على عادة العرب [3] .

وربما هذا ما جعل بلاشير يصنف المتنبي ضمن جماعة الشعراء الجوالين ،و هو تصنيف خاطئ ، لأن الشاعر لم يكن يمدح إلا عن اقتناع بشخص الممدوح .

و ينتهي المطاف به في الشام إلى الاعتقال بأمر من أميرها.و إذا بالمتنبي يساق إلى السجن ،و يتكبد فيه ضروبا من الذل و التعب و الجوع و الحرمان .و الكثير من المؤرخين يؤولون دخول المتنبي السجن بتأويلات شتى ،حيث يزعم بعضهم أن أبا الطيب حينما شعر بالتفاف أعراب البادية حوله،و إقبالهم عليه، أراد لنفسه تمكنا في قلوبهم و سلطانا أوسع،و جاها أعلى فادعى النبوة،فكان هذا الادعاء سبب سجنه [4] .

1- المصدر نفسه ،ج 4،ص 59.

2- المصدر نفسه ،ص39 / 42.

3- ينظر بلاشير ، ريجيس ، المتنبي ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1975،ص40.

4- -ينظر البستاني،بطرس،أدباء العرب في الأعصر العباسية،دار المكشوف ودارالثقافة،بيروت1968،ط6،ص311/310

وظاهرة ادعاء النبوة هذه ،حيرت القدماء و المحدثين ،و بالرجوع إلى المراجع و المصادر التي تناولت الحديث عن حياة أبي الطيب المتنبي نجد الذين كتبوا عن الشاعر – في هذا الباب – من ذوي مواقف متباينة بين القدماء و المحدثين .

– موقف القدماء ،ويمكن حصره في ثلاث فئات :

الفئة الأولى : هذه الفئة قبلت ادعاء النبوة كالبغدادي و ابن خلكان و البديعي و الخطيب البغدادي و غيرهم.

الفئة الثانية: و هذه فئة متحفظة لم تستبعدها كالثعالبي الذي ذكر أمر تنبئه كرواية لا يتحمل مسؤوليتها ، و أورد قصة خروجه طمعا في السلطان .

الفئة الثالثة : و هذه الفئة تنكر على المتنبي أمر تنبئه ز منهم أبو العلاء المعري .

– موقف المحدثين ،و هذا الموقف يمكن – هو الآخر – تقسيمه إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : وهذه الفئة قبلت ادعاء النبوة و من أعلام هذه الفئة سعيد الأفغاني .

الفئة الثانية : و هي فئة متحفظة ،ومن أعلام هذه الفئة عباس محمود العقاد .

الفئة الثالثة:وهي فئة تنكر على أبي الطيب أنه ادعى النبوة ومن أعلام هذه الفئة طه حسين،محمود شاكر،عبد الوهاب عزام ،محمد عبد الرحمن شعيب ،عبد الغني الملاح ،هادي نهر و غيرهم

– موقف المستشرقين:إن المستشرقين أمثال بلاشير، برو كلمان و ماسينون ،ينكرون ادعاء المتنبي النبوة و ينسبون إليه القرمطة [1] .

أما الجناية التي سجن من أجلها شاعرنا فيخالف فيها شاعرنا سيرته و يختلف الرواة فيما بينهم .

وفي تاريخ الخطيب البغدادي روايتان هما أصل لمعظم الروايات التي رويت في هذه المسألة.

الرواية الأولى : إن أبا الطيب " لما خرج إلى كلب و أقام فيهم ادعى أنه علوي حسني ،ثم ادعى بعد ذلك النبوة ،ثم عاد يدعي أنه علوي ،إلى أن اشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين،و حبس دهرا طويلا ، وأشرف عل القتل ثم استتيب و أشهد عليه بالتوبة و أطلق ".

الرواية الثانية:وقد جاء فيها أخبرنا التنوخي ،حدثني ،أبي قال:حدثني أبو علي ابن أبي حامد،قال:سمعت خلقا بحلب يحكون و أبو الطيب بها إذ ذاك أنه تنبأ في بادية السماوة و نواحيها إلى أن نخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله و أسره ،وشرد من كان اجتمع عليه من كلب و كلاب و غيرها من القبائل ،و حبسه في السجن طويلا ،فاعتل و كاد أن يتلف حتى سئل في أمره فاستتابه ،وكتب عليه و ثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه،ورجوعه إلى الإسلام ،و أنه تائب منه ولا يعاود مثله وأطلقه [2] .

أما ابن خلكان فيقول : " قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة و تبعه خلق كثير من بني كلب و غيرهم ،فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره و حبسه طويلا ،ثم استتابه و أطلقه ،وقيل غير ذلك ، وقيل :إنه قال :أنا أول من تنبأ في الشعر ".[3]

1- ينظر نعجة،فتحي أسعد اسماعيل،الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي،دار البشير،عمان،1999،ص105/104/103

2- الخطيب البغدادي،أحمد بن علي،تاريخ بغداد أومدينة السلام،دار الكتاب العربي،بيروت،ص105/102.

3- ابن خلكان ،وفيات الأعيان،ص 122.

وفي الصبح المنبي وهو أجمع الكتب لأخبار المتنبي رواية عن رجل اسمه "أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل .قدم عليه المتنبي فأكرم و فادته ،و أعجب بفصاحته و قال له : و الله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير ،فأجابه المتنبي مستنكرا :و يحك أتدري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ثم تلا عليه جملة من قرآنه و هو مئة و أربع عشرة عبرة . ومن كلامه الذي كان يزعم أنه قرآن أنزل عليه :"و النجم السيار، و الفلك الدوار،و الليل و النهار،إن الكافرين لفي أخطار " ثم إن المتنبي أرى اللاذقي معجزة فمنع المطر عن بقعة وقف فيها فأصاب المطر ما حولها،ولم تصبها قطرة فبايعه معاذ و عمت بيعته كل مدينة في الشام، ثم أوصى المتنبي معاذ بالسر و عدم إذاعة النبإ .[1]

أما عن رواية الثعالبي و يكاد يكون معاصرا أبا الطيب فإنه يقول :" و بلغ من كبر نفسه و بعد همته أن دعا قوما من رائشي نبلة على الحادثة من سنة،و الغضاضة من وحين كاد يتم أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة و رفع إليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه ،و تقييده ،و يحكى أنه تنبأ في صباه و فتن شر ذمه لقوة أدبه و حسن كلامه .[2]

أما المعري و هو قريب من المعاصرين لأبي الطيب فقد سأله ابن القارح عن حقيقة ما ينسب إلى المتنبي من ادعاء النبوة فقال في رده الذي ألحقه برسالة الغفران :"حدثت انه كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة ،أي المرتفع من الأرض " .[3]

وإذا ما عدنا على موقف المحدثين فإننا نجد عباس محمود العقاد يسأل فيقول :" هل حصل أن ادعى المتبني النبوة ؟ فيجب قائلا:"أما هذه فلا سبيل إلى البت فيه برأي قاطع و أننا بين قولين :أن أرجحهما أنه فعل و ادعى ،و المرجوح منها أن الرجل نبز بهذا النبز ،و إني أرجح القول الأول ترجيحا قويا، حتى أكاد أرفض الاحتمال الثاني لأول نظرة " ثم يقول :" فقد ثبت أن الرجل حبس فإنه كان حبسه في فتنة أثارها فقد بقي على الذين يجزمون ببراءته من دعوى النبوة أن يبينوا لنا كيف أطاعه بنو كلب و كيف استطاع أن يحركهم إلى الفتنة " و يقول أيضا :لو كان المتنبي يستسعر قلبه للدين رهبه ولمقام الأنبياء حرمة لما جرى على لسانه الغلو الشنيع الذي لا يسوغه دين و لا عقل .[4]

1- يوسف،البديعي،الصبح المنبي ،ص 55/52.

2- الثعالبي ،يتمته الدهر ،ج1،ص161.

3- المعري ،أحمد بن عبد الله بن سليمان،رسالة الغفران،طبعة دار القومية.للنشر.القاهرة،ص 189/182.

4- العقاد،عباس محمود،مطالعات في الكتب و الحياة ،دار القلم،بيروت .ط1،ص181/180.

ولعل ما أملى على العقاد هذه الفكرة كون المتنبي شبه نفسه بالأنبياء في قوله :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود [1]

أنا في أمة تداركها اللـــ ـــه غريب كصالح في ثمود

فالشاعر لم يشبه نفسه بالسيد المسيح و لا بصالح عليهما أفضل السلام، و إنما أحس الشاعر بصورة من صور الاغتراب التي أحسها كل من عيسى و صالح عليهما السلام ذلك لأنه كان يعيش في مجتمع أكثره من العبيد الذين لم يعوا عصرهم المضطرب ،ومهما يكن من أمر، يبدو أن العقاد من خلال ما تقدم يتحفظ من ادعاء المتنبي للنبوة.

ومن الذين ينكرون ادعاء المتنبي للنبوة . طه حسين،حيث يقول : و أنا لا أتردد في رفض ما يروي من أنه ادعى النبوة و أحدث المعجزات أو زعم إحداثها و ضلل فريقا من خاصتهم و عامتهم فبايعوه و اتبعوه . [2]

أما محمود شاكر فإنه يقول :" إن المتنبي أظهر أمره بأنه علوي الأصل شريف النسب أثناء وجوده في بني عدي و بني كلب ففشا ذكره بينهم و بايعوه على العون له في الدعوة إلى رد الحكومة إلى العرب دون الأعجام و لذلك سجن ".[3]

ولو كان المتنبي مأخوذا إلى السجن بتهمة ادعاء النبوة لركز جهوده في التنصل من هذه التهمة و لباعد بينه و بينها بكل وسيلة مشروعة ،و لا يوجد في القصيدة ما يشير إلى أن التهمة ادعاء النبوة . وحين يذكر ما أهم به يقول:" العدوان على العالمين ،و هذه عبارة غامضة لا توحي بشيء من التنبؤ بل توحي بالعصيان و إثارة الفتن و القلاقل :

وقيل عدوت على العالمـــــــ ـــين بين ولادي و بين القعود [4] .

أي أنهم اتهموه بالعدوان على العالمين في حالة الطفولة قبل أن يستطيع القعود و من هنا على الإنسان أن يلاحظ نوع التهمة ، فهي منحصرة في الخرج على السلطان و لو كانت ادعاء النبوة لما قال : عدوت على العالمين.و إذن فالقول الذي لا يتطرق إليه الشك هو أن المتنبي سيق إلى السجن و لكن ليس بتهمة دعوى النبوة ، و إنما لأنه ذاع أمري ببني عدي و بين كلب أنه علوي الأصل،شريف النسب.فالتفوا حوله عن قناعة بصحة نسبه،وهذا ما لا يتفق و وجود الحكام و الأمراء في مراكزهم و خاصة أنه كان قد مالا البلاد بشعره الداعي إلى الثورة و التمرد ضد حكام بغداد الأعاجم و عن رأيه في الدولة العباسية التي ملك زمامها العجم و الديلم و الترك من خدم الخلفاء و عن رأيه في الخليفة الضعيف الذي لا يملك من أمر نفسه شيئا،كل ذلك جلب لشاعرنا رغم صغر سنه التخوف منه مما جعل أعداءه يسعون إلى الوالي من أجل سجنه.وعلى وجه العموم،إن أبا الطيب المتنبي لم يدع النبوة و إنما كان في نفسه كبرياء و عظمة ،حتى ليقول أبو القاسم المظفر الطبسي في رثائه:

كان من نفسه الكبيرة في جيش وفي كبريائه في سلطان .[5]

1- حسين ،طه، مع المتنبي ،ص 99 .

2- شاكر ،محمود ،محمد ،المتنبي ، ص102.

3- العكبري ،التبيان في شرح الديوان ،ج1 ،ص 341.

4- المصدر نفسه ، ص 346 .

5- بلاشير، أبو الطيب المتنبي ،حاشية ،رقم 1 ،ص 118.

ما رأى الناس ثاني المتنبي أي شان يرى لبكر الزمان
هو في شعره نبي ولكـــــن ظهرت معجزاته في المعاني

وصفات الكبرياء ،و العظمة و التعالي عبر عنها في أشعاره حيث قال :

ما أبعد العيب و النقصان عن شرفي أنا الثريا و ذان الشيب و الهرم [1]

وقوله :

و إذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل [2]

وقوله:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام [3]

وقوله :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم [4]

و قوله :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود [5]

1- العكبري ،التبيان في شرح الديوان ، ج3 ،ص371 .
2- المصدر نفسه ،ج3، ص 260 .
3- المصدر نفسه ،ج 4 ، ص 70 .
4- اليازجي.ناصيف.العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب.ج2.ص 120.بيروت.دار بيروت للطباعة والنشر1981.
5- العكبري .التبيان في شرح الديوان.ج1.ص 319.

ومن خلال هذا كله ،نستبعد أن يكون المتنبي صاحب الرؤية الراجحة أن يكون قد تنازل إلى سخف ادعاء النبوة و نزول القرآن عليه .
لم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول في بلاد الشام حتى اتصل بأبي العشائر بأنطاكية حيث كان واليا عليها من قبل سيف الدولة و مدحه بعدة قصائد أولاها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي.[1]

وما إن أطلق سراح شاعرنا حتى أخذ يجول بأقطار البلاد الشامية مادحا أعيانها فعرفته دمشق و بعلبك و حمص و طرابلس و أنطاكية و الرملة ،انطلق المتنبي مطوفا على الأفاق طالبا للمعالي.فعرف شيئا من سمو الحظوة عند بعض الأمراء مثل آل تنوخ في اللاذقية ،و الحسن بن طغج في الرملة ، و اشتهر حتى أصبح الوجهاء يتعرضون له ليمدحهم مثلما فعل ابن كيغلغ ،وكان يومئذ على طرابلس بعدما كان في حمص فمر به أبو الطيب و كان متوجها إلى أنطاكية ،فسأله أن يمدحه فماطله أبو الطيب و ما زال يماطله حتى تسن له الهروب بعد أربعين يوما فهجاه بقصيدته الشهيرة التي مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضا نظرت و خلت أني أسلم [2]

على أن حظوته عند الأمراء لم تغنه من فقر و قد أو رثته أعداء كانوا يكيدون له و كان لا يرحمهم بهجائه ، و ما زال كذلك دأبه بين خمول و شهرة و فقر و غنى حتى نزل بأنطاكية و عليها أبو العشائر الحمداني من قبل إبن عمه سيف الدولة فاتصل به و مدحه ، فأكرمه و أحسن مثواه و كان سبب اتصاله بسيف الدولة .

1- العكبري.التبيان في شرح الديوان .ج2 .ص362.

2- الهاشم.جوزيف.أبو الطيب المتنبي.ص8.بيروت.منشورات دار الشرق الجديدة.1961.

اتصال المتنبي ببلاط سيف الدولة (337هج -346هج):

كانت حلب أيام المتنبي عاصمة لإمارة عربية مثل الجزيرة و شمالي سوريا و أميرها علي بن حمدان الملقب بسيف الدولة. يقول الثعالبي:"كان بنو حمدان ملوكا و أمراء أوجههم للصباحة و ألسنتهم للفصاحة و أيديهم للسماحة و عقولهم للرجالة، و سيف الدولة مشهور بسيادتهم ،و واسطة قلادتهم...غرة الزمان وعماد الإسلام ومن به سداد الثغور وسداد الأمور وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف باسمها وتغل أنيابها وتدل صعابها،وتكفي الرعية سوء آدابها ،وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر وتحسم شرهم المثار،وتحسن في الإسلام الآثار وحضرته مقصد الوفود،ومطلع الجود وقبلة الآمال،ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال:إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك – بعد الخلفاء – ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر وبحوم الدهر،وإما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها،وكان أدبيا شاعرا محبا لجيد الشعر الاهتزاز لما يمدح به .[1]

وهذه هي صورة سيف الدولة في أذهان الكثيرين من معاصريه وفي تراثنا التاريخي و الأدبي وكان من نصيب شاعرنا المتنبي عندما قدم إلى أنطاكية لزيارة أبي العشائر أن قدمه هذا الأخير إلى سيف الدولة فأتنى عليه وبصبره بمنزلته من الشعر والأدب. واشترط المتنبي على سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا ينشد إلا وهو قاعد،وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه،فنسب إلى الجنون، ودخل سيف الدولة تحت هذا الشرط وتطلع إلى ما يرد منه و ذلك في سنة337هج.ولما أنشده قصيدته التي مطلعها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا و الدمع أشفاه ساجمه [2]

فلما أنهاها بقوله :

تحاربه العداء و هي عبيده وتدخر الأموال و هي غنائمه [3]

و يستكبرون الدهر و الدهر دونه و يستعظمون الموت و الموت خادمه

وإن الذي سمى عليا لمنصف و إن الذي سماه سيفا لظالمه

وما كل سيف يقطع الهام حده و تقطع لزبات الزمان مكارمه

حسن موقعه عنده وقربه وأجازه الجوائز السنية،ومالت نفسه إليه وأحبه فسلمه إلى الرواض فعلموه الفروسية والطراد و المثاقفة.وصحب سيف الدولة في عدة غزوات إلى بلاد الروم ومنها غزوة الفنا التي لم ينجح منها إلا سيف الدولة وستة أنفار أحدهم المتنبي. وأنفاض عليه سيف الدولة وافر النعم فكان يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد إضافية إلى نوافل الأعطيات و الخيل والجواري والضيع حتى بلغ ما ناله في مدة أربع سنوات خمسة وثلاثين ألف دينار.[4]

1- الثعالبي .يتيمة الدهر.ج1.ص.28/27 .

2- العكبري.التبيان في شرح الديوان .ج 3.ص.325 .

3- المصدر نفسه .ج3.ص 342/341 .

4- انظر البديعي.يوسف .الصبح المنبي.ص 78/71.

ولكن هذه الرفاهية التي يحظى بها عند سيف الدولة جلبت له حسادا كثرين،فراحوا يكيدون له المكايد ويرمونه بكل نقيصة ويعيبون شعره، ويغلظون قلب الأمير عليه .
ولم تخف على المتنبي قوة خصومه فقاومهم بعنف واحتقار يرد الصاع صاعين،وإذا رأى من سيف الدولة ميلا إليهم عاتبه واستنجده عليهم:

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا [1]

وكان أشد خصومه أبو فراس الحمداني وابن خالويه مؤدب سيف الدولة. حيث إن أبا فراس وهو شاعر وأمير كان يتأذى من شهرة أبي الطيب المتنبي وإيثار سيف الدولة له .
وظل أبو فراس يتربص به السوء، حتى يجعل سيف الدولة يدير وجهه عنه فكان للمتنبي أن نظم قصيدة يعاتبه فيها و التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي و حالي عنده سقم [2]

ولما وصل إلى قوله :

فالخيل و الليل و البيداء تعرفني و الضرب والطعن والقرطاس والقلم [3]

قال أبو فراس:**"**وما أبقيت للأمير إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة،تمدح نفسك. بما سرقته من كلام غيرك،وتأخذ جوائز الأمير؟ **"**[4]

1- المصدر نفسه.ج3.ص.289.
2- المصدر نفسه ،ج3، ص 362 .
3- المصدر نفسه ،ج 3 ، ص 369.
4- حمود محمد .أبو الطيب المتنبي.ص39.بيروت.دار الفكر اللبناني.1993.

فكان لسيف الدولة "أن غضب من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه بالدواة التي بين يديه . فقال المتنبي في الحال :

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

فغضب المتنبي من ذلك إذا لم ينتصر له سيف الدولة لا قولا ولا فعلا ،فكان ذلك أحد أسباب فراقه سيف الدولة .

– رحيله إلى مصر:

فارق أبو الطيب حلب متوجها إلى دمشق لأن حمص التي أحبها كانت من أعمال سيف الدولة، فلم يذهب إليها بل اتخذ طريقه إلى دمشق وكان عليها من قبل كافور حاكم مصر وال يهودي يعرف بابن مالك.

فلما نزلها أبو الطيب طلب منه واليها أن يمدحه بشعره أسوة بغيره، فرفض وكره المقام بدمشق من أجله لكن هذا اليهودي جعل كافور الإخشيدي يطلب أبا الطيب،فسار إلى الرملة في الجنوب و تلقاه أميرها الحسن بن طغج بالتكريم،إذ حمله على فرس بموكب ثقيل و قلده سيفا محلى وأعطاه هدايا غالية،فمدحه أبو الطيب بقصيدة أشار فيها إلى ما لحقه من تهديد و وعيد من الأدعياء و الحساد.

ولما كتب كافور إلى أمير الرملة في طلب أبي الطيب لم يجد بدا من الرحيل إليه ، و أقبل المتنبي على كافور بمصر،فاحتفى به هذا الأخير وأمر له بمنزل و وكل به من يخدمه ويعنى بأمره ثم طالبه بمدحه، فاستجاب أبو الطيب بتحفظ وحمل نفسه على أن يقول ما لا يرضيه .[1]

فقال فيه أول مرة قصيدة مطلعها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا و حسب المنايا أن يكن أمنيا [2]

تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقا فأعيا أو عدوا مداجيا

فقد لقي أبو الطيب حفاوة من كافور أول الأمر، فكان يزهو بنفسه و ينال من الشعراء الذين يحضرون مجلس كافور كما كان يفعل في مجلس سيف الدولة،فكرهوه وغضبوا عيله وراحوا يدلون على مواضيع الهزء والتهكم بشعره المحسود ليدسوا له على أن هذه القصيدة إن كانت قد أرضت سيف الدولة مع ما فيها من غطرسة وغلظة في العتاب فقد أغضبت أقاربه وحاشيته ورجال مجلسه. وكان أبو العشائر حاضرا فساءه أن يعرض الشاعر ببعض بني عمه فأرسل غلمانا له ليوقعوا به فلحقوه بظاهر حلب ليلا،فرماه أحدهم وقال :"خذ و أنا غلام أبي العشائر " .[3]

ولكن شاعرنا تمكن من النجاة وجرح أحد مهاجميه فقال أبياتا في المناسبة مطلعها :

و منتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حفيف [4]

1- انظر حمود.محمد أبو الطيب المتنبي.ص.42.

2- العكبري.التبيان في شرح الديوان ،ج4، ص 281 .

3- حمود . محمد أبو الطيب المتنبي، ص 40.

4- العكبري .التبيان في شرح الديوان.ج2.ص292.

واستخفى أبو الطيب عند صديق له وسيف الدولة يسأل عنه و ينكر أن يكون قد أمر بقتله أو علم بما دبر لاغتياله. ثم عاد إليه الشاعر يمدحه، ولكن اجتماع الحساد عليه كان ينغص عيشه فسئم الإقامة بينهم وآلمه أن يعيرهم الأمير سمعه فأزمع الرحيل .[1]

ونبه سيف الدولة بقوله :

أذا الجود أعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل [2]

عند الحاكم و الوزير. وكانت المطامع تغري أبا الطيب و تزين له استغلال كافور واسترضاءه فهو يريد منه ولاية وحكما،فوعده بذلك، غير أنه كان يماطل متهيبا شأنه وطموحه،ولما ألح المتنبي قال كافور لبعض مقربيه:هو في الفقر وعدم العون سمت به نفسه إلى النبوة فكيف يكون أمره إذا أصاب الولاية.[3]

ولما ضاقت به مصر وضاق بها أعد العدة للرحيل ،وكان موسم العيد يستقبله كافور بالفرحة ويوزع فيه الهدايا على كبار جنده وحاشيته،وكان الموسم فرصة سانحة للهروب، إذ إن كافور حال بينه وبين السفر، لكن المتنبي خلص ليلا ،حائرا في دربه، أيتوجه إلى نجد والحجاز أم يمضي إلى العراق ؟
وطلبه كافور ففاته،وقد غلب الشاعر الحنين إلى موطنه الأول فضرب في البادية إلى الكوفة،بعدما قام بمصر ما يزيد عن أربع سنوات .[4]

وقبيل انطلاقه منها قال قصيدته المشهورة:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد [5]

1- انظر حمود.محمد.أبو الطيب المتنبي.ص.40.
2- العكبري .التبيان في شرح الديوان ،ج3، ص 117 .
3- البديعي .يوسف .الصبح المنبي، ص 112/110.
4- أنظر حمود .محمد المتنبي.ص43.
5- العكبري.التبيان في شرح الديوان.ج2.ص39

وإذن فقد لبث المتنبي في مصر أربع سنوات وبضع أشهر مكرما معززا حينا،ومحسودا مبغضا أحيانا ، وطامعا منذ أقبل على حاكمه الإخشيدي كافور بما لم يطمع بمثله عند سيف الدولة الذي أغناه بالعطايا ، فكان يلمح تارة في شعره إلى ما يريد وتارة أخرى يصرح فيقول :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا [1]

و يكرر الرجاء بإنجازه الوعد فيقول لكافور :

إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني و شغلك يسلب [2]

وبقي أبو الطيب يرجو من كافور أن يوليه صيداء من بلاد الشام سواها من الصعيد،وكافور يماطل و يروغ منه بالحيلة والترضية بالذهب، حتى دب اليأس في صدر أبي الطيب و سئم المقام. فحدثته نفسه بالرحيل لولا صديقه فاتك أبو شجاع الذي كان يعزيه ويسليه فلما أدركه الموت أعد المتنبي العدة للسفر وأرسل إلى كافور يستأذن في المسير،غير أن هذا الأخير رفض وجعل يعلله بالبقاء لكن المتنبي كان قد أحكم خطة السفر كما سبق الذكر وفضل العودة إلى بلده .[3]

1- العكبري.التبيان في شرح الديوان.ج4.ص.290.
2- المصدر نفسه ،ج1، ص 182 .
3- انظر حمود.محمد.ابو الطيب المتنبي، ص 44.

- **في بلاد العراق و فارس** :

سارأبو الطيب المتنبي حتى دخل الكوفة في شهر ربيع الثاني سنة (351هج) ونظم المقصورة التي أولها : **ألا كل ماشية الخيزلى فدا كل ماشية الهيدبى** [1]

وصف فيها مسيره من مصر،وذكر المنازل التي قطعها، وهجا كفورا .[2]

وبلغ سيف الدولة قدومه إلى الكوفة فأرسل إليه ابنه من حلب سنة (352هج) ومعه هدية سنية. فمدحه أبو الطيب بقصيدة و أرسلها إليه، ثم ماتت أخت سيف الدولة فنظم المتنبي قصيدة يعزيه فيها وبعث بها إلى حلب .[3]

ثم تشاء الأقدار أن يخرج المتنبي من بغداد إلى بلاد فارس مصطحبا صديقه و راوية شعره عليا بن حمزة البصري، فعلم بخبره أبو الفضل بن العميد وزير عضد الدولة الحسن بن بويه الديلمي فأرسل ابن العميد يدعوه لزيارته بأرجان في طريقه إلى فارس ، وكان هذا الوزير كاتبا وأدبيا طمع في لقاء المتنبي ومودته، فلما وصل إلى أرجان رآها حقيرة متواضعة، فأرسل إلى ابن العميد يعلمه بوصوله، وكان ابو الفضل تواقا إليه فخرج بموكب لاستقباله وكان ذلك عام 354هج .

ولما رأى أبو الطيب هذه الحفاوة فاضت قريحته تمدحا بالمحتفي و تعبيرا عما يخالجه من جوى و اعتزاز بنفسه قال الرائية التي مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمك أو جرى [4]

و فيمها يقول :

من مبلغ الأعراب أني بعدها شاهدت رسطاليس و الاسكندرا [5]

1- العكبري.التبيان في شرح الديوان.ج1.ص.36.
2- البديعي.يوسف.الصبح المنبي، ص 128/127.
3- المصدر نفسه ، ص 129.
4- العكبري.التبيان في شرح الديوان.ج2.ص160.
5- المصدر نفسه.ج2.ص170.

حلـول مـقتلــه :

اختلفت الرواية في مقتل المتنبي. فمنهم من يرى أن فاتك بن أبي جهل بن فارس ألأسدي هو الذي قتله بعدما ترصد له بمعية جماعة من بني قومه والسبب في ذلك يعود إلى " هجاء المتنبي لابن أخته ضبة بن يزيد ألعتبي وإفحاشه في الهجاء بصورة تمس العرض وتخدش الشرف " [1]

فكان لهذا الهجاء اللاذع أن أثاره حمية فاتك فثار لابن أخته .

ومنهم من يذهب إلى القول بأن لمعز الدولة البويهي يد في قتل المتنبي لأنه أظهر استخفافا به وبوزيره المهلبي ولم يمدحهما حينما وفد عليهما. بل سلط لسانه للنيل من العجم ،وتحريض العرب ضدهم الأمر الذي جعل معز الدولة البويهي يتربص به السوء حتى وجد في فاتك خير منفذ لمكيدته في قتل المتنبي.[2]

وهكذا كتب للمتنبي أن ينطفئ نجمه بضيعة تقرب من دير العاقول يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة (354هج)، ورحل ابنه محسد و غلام له يدعى مفلحا .ولئن اختفى المتنبي بجسده فلم يختف بأشعاره التي أثرت لغة الضاد فمنحتها تراثا خالدا تسامى بروائع الحكم وآيات البيان . وقد صدق من لخص مأثور أشعاره بقوله :" إذا أردت أن تربي الشباب العربي على الأخلاق التي تمكنهم من الثبات على زلازل العصر،واجتهدت أن ترويهم شعر شاعر يتخذونه أسوة ،فهل تجد بين امرئ القيس و أحمد شوقي من يسامي أبا الطيب في هذا الشأن؟ " .[3]

لقد كان المتنبي – حقا – إفرازا لعصره و محصلة لظروفه السياسية والاجتماعية و الفكرية و الأدبية حيث كان نتاجه الشعري وعاء صبت فيه كل هذه المعطيات و نموذجا يحذوه الشعراء في كل العصور لما امتاز به من المعاني القوية و التجارب الصادقة كما سنتبين من خلال دراستنا لحكمه بدأ من البحث في مصادرها .

1- حمود.محمد.أبو الطيب المتنبي.ص50.بيروت.دار الفكر البناني1993..

2- المرجع نفسه ، ص 51 .

3- عبد الوهاب عزام.ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام.ط3.ص126.القاهرة.دار المعارف 1986.

الـــفـــصـــل الـــثـــانـــــي :

مـصـــادر الـــحـــكـــمـــــة فـــي شـــعـــر الـــمـــتـــنـــبـــــي

1)- الـمـصـــادر الأصـلـيـــة.

2)- الـمـصـــادر الأجـنـبـيـــة

حظي المتنبي بشهرة لم يحظ بها غيره من قبل، حيث إن هذه الشهرة قد طبقت الآفاق في حياته وجعلته محط أنظار الأدباء والنقاد على حد سواء حتى ليقول ابن رشيق : [1]

" ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس " ومن حق السائل أن يسأل : ما السر يا ترى في هذه الشهرة؟

هل هذه الشهرة تفسرها كثرة الأغراض الشعرية التي تناولها ؟ أم هي في الصوغ الفني لأفكار و معانيه؟

أم في عمق هذه الأفكار والمعاني التي تزخر بها معظم قصائده الشعرية ؟

والواقع أن المتأمل في منتوج شعر المتنبي يدرك دون كبير عناء أن " المفتاح السحري العجيب الذي فتح به كل القلوب " [2]

إنما هو " الحكمة "،هذه الحكمة التي "سمت على غثاث الأمثال و صارت زينة الأقوال " [3]

وما يهمنا في هذا الفصل أن نبحث في مصادر الحكمة في شعره، حيث أن الأشياء تعرف بالرجوع إلى أصولها .

و المتتبع لمصادر الحكمة في شعر المتنبي من خلال المصادر و المراجع التي تناولت شخصيته الأدبية يكتشف أن ثمة نوعين من المصادر :مصادر أصلية و مصادر أجنبية .

1ابن رشيق.أبوعلي الحسين.العمدة في صناعة الشعر ونقده. تحقيق محمد محي الدين.بيروت.دارالجيل.د.ت.ط4.ج1.ص82 2- ماجد.جعفر.حكمة المتنبي.مجلة الأقلام. تونس.جانفي 1978.عدد4.ص67. 3- المرجع نفسه .ص68.

1)- المصادر الأصلية :

وإني أرى أن المصدر الأول إنما يتمثل في كون المتنبي يمتع بموهبة فطرية حيث برع في نظم الشعر منذ نعومة أظافره كما كان ذا ذكاء مفرط وحافظة قوية وبديهة حاضرة وفكر منظم هذه الخصائص مجتمعة " أهلته للمعرفة – عامة – ولفهم الحياة وفلسفتها – خاصة – [1] .

وقد وجدت موهبة المتنبي أسباب تنميتها و تطويرها – أولا – في الوسط الذي تلقى فيه تعليمه "الأول بمسقط رأسه الكوفة ،يقول البغدادي :اختلف المتنبي إلى كتاب فيه أشراف العلويين ،فكان يتعلم دروس العلوية شعرا ولغة وإعرابا، لقد عرف تعليم الصبيان في الكتاب منذ فترة مبكرة،وانتشرت الكتاتيب منذ القرن الثاني الهجري في المدن و القرى ،حتى أصبح لكل قرية كتاب أو أكثر، و كانت الكتاتيب ملحقة بالمساجد أو مستقلة عنها ".[2]

وتأنيا بانكبابه على دراسة العلوم يتلقفها أنى وجدها، حيث كان يجمع المؤلفات ويقضي الليالي ساهرا يتصفح أوراقها ،وأما عن ذكائه و قوة استحضاره فلا نجد أفضل مما قال عنه حجر العسقلاني ومما يذكر في سرعة جواب المتنبي وقوة استحضاره أنه حضر مجلس الوزير ابن حنزابة(جعفر بن الفرات) وفيه أبو علي الآمدي الأديب المشهور فأنشده المتنبي أبياتا جاء فيها التهنئات .

فقال له أبو علي : التهنئة مصدر و المصدر لا يجمع.

فقال المتنبي لآخر بجانبه : أمسلم هو ؟

فقال : سبحان الله هذا أستاذ الجماعة.

فقال المتنبي : إذا صلى المسلم و تشهد أليس يقول :التحيات ؟

قال فخجل أبو علي وقام " [3] .

والمصدر الثاني، إما يتمثل في ارتحاله في مستهل شبابه إلى البادية حيث صاحب الأعراب وأخذ عن شيوخهم كثيرا من شوارد اللغة. و رجع إلى الكوفة شاعرا حاذقا عالما باللغة و أسرارها ، فتنقل من بادية العراق إلى بادية الشام ومن البدو إلى الحضر،ومن المدر إلى الوبر مترددا بين القبائل ومخايل العبقرية مبشرة بخير منه كثير. وكان الفضل في ذلك لأبيه الذي لازمه في هذه الأسفار الأولى.[4]

1- أبو العلا.مصطفى.شعر المتنبي.ص226.

2- البغدادي.عبد القادر بن عمر.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب دار الشروق.بيروت.ص382.

3- ابن حجر العسقلاني.لسان الميزان.مؤسسة الأعلى للمطبوعات.بيروت.ط2.ج1.ص 160/159.

4- انظر الثعالبي.يتيمة الدهر.ج1.ص79.

وقد لازم الوراقين متخذا كراريس يدون فيها شعره وخواطره فيها يروقه من شعر النوابغ أمثال : أبي تمام ،البحتري وبشار وأبي نواس. وكانت هذه الكراريس عدته وزاده في تجواله ولقد بقي أثر البادية عميقا في حياته مطبوعا في ذهنه وخياله فكان شعره لا يخول من هذا الأثر حتى بعد انتقاله إلى الحضر، فكانت لغة البادية عالقة بمعانيه وقوافيه،يترنم بالوفاء و الفداء ويولع بالبطولة،ويتغنى بالرماح و السيوف و حمحمات الخيل .[1]

والمصدر الثالث لحكمة المتنبي إنما هو دون منازع تجاربه. و الإنسان عموما يستقي تجاربه من حيث هو كائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويعبر ويريد ويفعل وهو في كل ذلك يتأثر بالأحداث التي يعيشها فيصوغ منها مادة تفكيره و يستخرج منها عبرا تقيه الانحراف عن جادة الطريق وشاعرنا لا يشذ عن هذا المبدأ في رصد تجاربه،وقد كانت تجاربه متعددة ،غنية بقدر ثراء الأحداث و الظروف التي عاشها. إنها أحداث يمتزج فيها النجاح بالإخفاق و المسرات بالأحزان و التألق بالفشل وحسن الظن بسوئه والسؤدد بالذل، و العظائم بالصغائر. وقد صاغ المتنبي كل هذه التجارب وصبها في مجرى غرض الحكمة فإن لكل حكمة في شعره أصلا تاريخيا في قلب هذا الشاعر الذي لم يكن قلبه ينسى شيئا أو يفلته و كأني به وهو يقول البيت السائر والمثل الشرود، كانت تتراءى تحت عينيه ويدوي في مسمعه كل ما مر به مما أثر فيه، فيقول البيت وفي كل لفظة منه سبب ممدود إلى ذكرها أو فكرة يتخيلها.[2]

وإننا نرى أنه ما من شاعر تمر به من الظروف ما مرت بالمتنبي لجدير بأن يظهر في غرض الحكمة قبل غيره من الأغراض ولاسيما إذا أضفنا إلى هذه الأحداث و الظروف عامل اليتم حيث إن اليتم وحده نخبر النفس الإنسانية. به يغوص اليتيم في أعماق السرائر فيسر ما تسر الأضالع. إن اليتم قد وجد سلوكه وعمله قبل الأوان إلى أشياء ما كان ليعرفها لولاه. وفي مقدمة ما تعلمه من اليتم مغالبة الصعاب وتحمل المشقة. أليس هو القائل :

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعال [3]

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر و الإقدام قتال

أما عن المصدر الرابع، فيمكن ذكر الحياة الفكرية التي سادت القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه المتنبي. وقد شاع في هذا العصر اقتناء الكتب،وكثرت المكتبات وصار الملوك والأمراء بعد الخليفة الأمين يفاخرون باقتناء المصنفات، ويتسابقون إلى شراء نوادرها،فكان للخليفة العزيز المتوفى (عام 386هج) خزانة كتب حافلة،وحين ذكر بحضرته أن للخيل بن أحمد كتابا نادرا في اللغة وهو كتاب " العين " نادي خزنة مكتبته وأمرهم بإحضار ما عندهم من هذا الكتاب النادر،فأحضروا من فورهم ما زاد على ثلاثين نسخة منه .

وكان لعضد الدولة بفارس خزانة كتب مشهورة عليها أمناء و متعهدون، ولم يبق في عهده كتاب أو مصنف إلا حصل على نسخة منه . [4]

1- انظر البديعي.الصبح المنبي .ص20.

2- شاكر.محمود.المتنبي .ص76.

3- البرقوقي.شرح ديوان المتنبي .ج3.ص406.

4- فروج.عمر.الأعصر العباسية.دار العلم للملايين 1975.ط2.ص400.

وكانت حلب أيام سيف الدولة دار علم وأدب و ملتقى المفكرين والشعراء وقد كثرت فيها المكتبات،وكان قصره في ظاهر حلب في مكان يسمى" الحلبة " مزهوا بنوادر المصنفات، وإذا كان المتنبي قد عاصر هذه الحركة الفكرية المزدهرة، فإنه كذلك واكب حركة لغوية تألف فيها الأدب من كل صنف فقد راجت سوق هذا الأدب و تقرب به أهله إلى الملوك و الأمراء. وكانوا بين متكسبين للمعيشة وبين محبين موهوبين ،ولا عجب فقد كان الأدب للأمة العربية منذ صدر الإسلام حتى أواخر العهدين العباسي والأندلسي ديوان حكمتها وفنونها ومظهر تفكيرها و شعورها .

ولم يكن الأدب منفردا وحده – كما هو الحال في مصطلح زماننا – و إنما كان أهله مازجين بين اللغة وأقيسة المنطق و البلاغة .

وقد ساعد التطور الذي كانت تمر به اللغة في هذا العصر و الحضارة التي مارسها العرب في تنمية لغتهم و اتساع أفقها و انبساط سلطانها،إذ كان التعبير هو الوسيلة العملية للاستفادة من اللغة و إخراجها من معجماتها و نصوصها إلى سوق التداول في الأخذ و العطاء.

ورفد اللغة علم النحو والصرف،وكثر العلماء الباحثون فيهما ،وكان النحو يخضع إلى فريقين لكل فريق نزعة منهجية كوفية أو بصرية . ومن الذين تضلعوا في النحو و الصرف و اللغة في هذا العصر أبو علي الفارسي و أحمد بن فارس المتوفى (سنة 395 هج) وأبو سعيد السيرافي و على بن عيسى الربعي، وكان هذا الأخير تلميذا لأبي على الفارسي لازمه بشيراز،وأخذ عنه اللغة و النحو.[1]

وجاء ابن جني وهو من أصحاب أبي الطيب وخلصائه وكان الشاعر يثني عليه .

وكان ابن جني من أكبر المعجبين بشعر أبي الطيب ، وقد حفل كتابه " الخصائص " بأصول النحو على مذهب أصول الكلام و الفقه والمقاييس و المطارحات اللغوية و النحوية بينه و بين أستاذه أبي على الفارسي و غيره من تلاميذه و إخوانه .[2]

وضمن الحياة الفكرية يمكن إدراج أيضا الحركة الأدبية، التي كانت رافد من روافد التأثير في شخصية المتنبي كشاعر عموما وكشاعر حكمة خصوصا . ولا سيما أنه عاصر معظم الأدباء والشعراء النوابغ الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري. فهاهو ذا أبو الفرج الأصبهاني يصنف لسيف الدولة كتابه "الأغاني " وهذا المؤلف يظهر بنثره وشعره عالما حضاريا لا يفنى في أدب العرب حيث إنه مرجع – بحق – لحياة مئات من الشعراء المطبوعين الذين تركوا في الدنيا ذوب أرواحهم المرهفة ، وغرائب سيرهم في الحب و الحرب و العبادة .[3]

وظهرت في هذا العصر من أهل الأدب البحث الكاتب أبو الفضل بن العميد(373هج) وقد كان واعي الفكر ، وقد بالغ و هو وزير بالحفاوة بأبي الطيب الذي مدحه بغرر الأماديح و سار إليه فترل ضيفا عنده . [4]

1-انظر القفطي.جمال الدين أبو الحسن.إنباء الرواة على أنباء النحاة.بيروت.دار الآثار للطباعة والنشر.د.ت.ج2.ص297

2- انظر رضوان.محمد مصطفى.العلامة اللغوي ابن فارس الرازي. القاهرة.دار المعارف 1971.ص230

3- انظر الشكعة.مصطفى.فنون الشعر في مجتمع الحماديين. القاهرة.المكتبة الأنجلو المصرية.د.ت.ص1.

4- انظر ضيف.شوقي .الفن و مذاهبه في النثر العربي.القاهرة.دار المعارف.1974.ط7.ص208.

كما ظهر الصاحب بن عباد(360هج)برسائل على الغرار. وقد حظي ابن العميد بمدح أبي الطيب كما حظي الشاعر بعطاياه،أما الصاحب فقد تأبى عليه أبو الطيب ورفض أن يمدحه، فلقي المتاعب من جراء ذلك، إذ ألف الصاحب كتابا في مثالبه لكنه لم يكن له يذكر، وبقي في سجل التاريخ الزمني للأدب العربي أن أبا الطيب أعرض عن مدحه، وقد سئل عن ذلك فقال: " أنا لا أمدح سوى الملوك..."[1].

أما الشعر في هذا العصر فقد انبعث في قريحة المتنبي عبقرية فياضة ومواهب متجاوبة،وكان أبو الطيب أكثر الشعراء طموحا، بل كان في هذا التألق ثمرة تطور فني تمازج فكري.هذا التمازج الفكري الذي بدأ من الثلث الأول للقرن الثاني الهجري،وذلك بقيام الدولة العباسية،فمنذ بشار بن برد حدث في شعر العرب هزة جديدة وجاء أستاذ الشعراء حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام ففتح بابا جديدا لصناعة الشعر العربي ومضى تلميذ البحتري على غراره في صنع الشعر وقوله،وإن أدخل عليه من ذوقه وفنه الشيء الكثير سواء في الوصف و التصوير أم في دقة المعنى و التعبير، كما أخذت تلوح بوادر الابتكار في المعاني الطريفة ،وكان أبو نواس و صحبه من شعراء الخمر و المجانة بدعا في هذا الشعر،فبعثوا فيه روح التجدد والتفنن،وكل ذالك مع الحفاظ على ديباجة القول المحكم الرصين وإبراز القصائد والمقطعات في طراز رفيع يربط حاضر هذا الشعر بماضيه، لكن الروح الفنية الجديدة دخلت هذا الشعر وآذنت الحضارة بتمازج الثقافات كما آذن الزمن أن يرث القرن الرابع كل هذه الصفات و المزايا في الشعر العربي ليستقبل أبو الطيب هذه المواريث سائغة فيتداول أروعها وأبقاها ويختص شعره بأقوى ما فيها ولاسيما ما يتعلق بالحكمة التي برز فيها وتميز بها عن غيره من الشعراء.[2]

إذا قلنا بأن الحكمة عصارة تجارب المرء،فهذا لا يعني أبدا أن كل إنسان اغتنت تجاربه فاتسعت أفاق خبراته حتى استوعب الحياة بجميع مظاهرها قد أصبح حكيما ينتج الحكمة المؤثرة بلا عناء .

" كل إنسان توافرت له هذه الإمكانيات الخاصة، إمكانات الإنسان في القطاع العقلاني. إنما هو حكيم بالقوة و مؤهل لأن يصبح حكيما بالفعل، متى تم له أن يجيد أصول الوسائل التعبيرية الفنية ".[3]

وإن هذه المصادر الأصلية التي جعلت المتنبي شاعرا حكيما بالفعل قد ساندتها مصادر أجنبية .

فما هي هذه المصادر الأجنبية ؟ و إلى أي مدى أسهمت في إثراء حكم المتنبي ؟

2)- المصادر الأجنبية :

إن أهم ما يميز الحياة الفكرية في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه المتنبي هو ازدهار العقل العربي نتيجة امتزاج العلوم الدخيلة بالثقافة العربية الإسلامية ، ولما كان المتنبي من الشعراء الذين استطاعوا أن يستوعبوا هذه المعرف الدخيلة وأن يتمثلوها في إنتاجهم فقد كان غرض الحكمة في شعره خير ما يمثل استيعابه لهذه المعارف. وهو نفسه يقر بميله إلى هذا اللون من الشعر حيث كان يقول :

" أنا و أبو تمام حكيمان ، و الشاعر البحتري ".[4]

1- انظر المرجع نفسه .ص212.

2- انظر ضيف.شوقي.العصرالعباسي الأول.ص92/93.

3- عاصي.ميشال.الفن والأدب.بيروت.منشورات المكتب التجاري 1970.ص35.

4- البديعي.الصبح المنبي.ج1 .ص249.

و المتمعن في حكم المتنبي يدرك آثار تأثره بهذه العلوم الدخيلة، ويكفي استدلالا أن نذكر مقولة لأسطو التي يقول فيها:" إذا كانت الشهوة فوق القدرة،كان هلاك الجسم دون بلوغها ".
فقال أبو الطيب :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام [1]

وإذن فإن بصمات التأثير الأجنبي في حكم المتنبي قائمة، ومثل ما سبق أن بينا المصادر الأصلية في إنتاج حكمة، نتعرض الآن إلى تبيان المصادر الأجنبية و التي نراها تتمثل فيما يلي :

أ) الفلسفة اليونانية :

إن صلة العرب بالفلسفة اليونانية ممتدة الجذور في التاريخ فقد انتشرت اليهودية في جزيرة العرب قبل الإسلام بقرون،و تكونت فيها مستعمرات يهودية و أشهرها يثرب وهي التي سميت فيها بعد بالمدينة[2] .

وما يجدر ذكره في هذا السياق أن اليهودية إنما حلت بجزيرة العرب "بعد أن تأثرت بالثقافة اليونانية تأثرا كبيرا لأنها ظلت قرونا تحت الحكم اليوناني الروماني و التاريخ يخبرنا بان من أحبار اليهود من تعلم الفلسفة اليونانية و تأدب بأدبها ،فتسربت تلك الثقافة إلى اليهودية " [3] .

وإن هؤلاء الأحبار هم الذين سربوا الديانة اليهودية ونشروها في الجزيرة العربية و قد اعتمدوا الفلسفة يستمدون منها التعليل و البرهان لتأبيد عقيدتهم .

ولم تكن اليهودية وحدها المجرى الذي دخلت الثقافة اليونانية عن طريق بل إن المسيحية قد نشرت تعاليمها بين العرب و " كانت النصرانية قبل دخولها جزيرة العرب تحمل بين ثناياها شيئا من الثقافة اليونانية كما هو شأن في اليهودية ".[4]

1- سلامة يسرى.الحكمة في شعر المتنبي.القاهرة.دار المعارف.د.ت.
2- أمين.أحمد.فجر الإسلام.ص 23.
3- المرجع نفسه .ص25.
4- المرجع نفسه.ص28.

ومن المعلوم – تاريخا – أن " في العصور المسيحية الأولى كان كثير من آباء الكنيسة فلاسفة قبل أن يكونوا رجال دين لأنهم رأوا من الضروري أن يؤيدوا أنفسهم و عقائدهم أمام الوثنيين ، فلجئوا إلى الفلسفة يستمدون منها التعليل والبرهان، فتسربت إلى النصرانية فلسفة أرسطو وأفلاطون وغيرهما" [1] .

وكان النساطرة على الأخص أكثر إلماما بعلوم اليونان، ومنهم كثيرون انتشروا في الحيرة و بالتالي كان هؤلاء النساطرة هم الصلة بين اليونان و العرب .
و للسائل أن يسأل ما حظ الفكر اليوناني في الجزيرة العربية قبل الإسلام وقد رافق انتشار اليهودية والمسيحية ؟ و للإجابة عن هذا السؤال نقول إن هذا الفكر قد تسرب من مجرى ضيق، لأن العرب لم يكونوا آنذاك يأخذون ممن حولهم علما منظما باعتبار البعد الكبير بين العرب وغيرهم من حيث الدرجة العقلية ،و الاقتباس إنما يحدث عندما تتقارب العقليات .
وعلى العموم ،يمكن القول بأن تأثير الفكر الأجنبي ومنه اليوناني في العقلية العربية لم يكن بذي شأن يذكر في العصر الجاهلي. ولكن يمكن اعتبار عهد(الرسول صلى الله عليه و سلم) بداية لظهور بوادر التفكير الفلسفي، وقد أخذ المسلمون يخوضون غمار الحديث " في ذات الله تعالى وفي صفاته فنهاهم (الرسول صلى الله عليه و سلم) على ذلك " .[2]

وقد عمل على توجيه فكرهم الوجهة الصحيحة بحديث له مفاده " تفكروا في خلق ولا تفكروا في الخالق " [3] .

وهو حديث يوافق ما جاء في الآية القرآنية الكريمة:

" إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل والنهار و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون ".[4]

1- المرجع نفسه .ص28.
2- شعيب.محمد عبد الرحمن.المتنبي بين ناقديه.ص227.
3- المرجع نفسه .ص288.
4- سورة البقرة.الآية 164.

هذه الآيات وغيرها من آيات أحرى تدعوا المسلمين إلى إجهاد فكرهم في إظهار مقدرة الله لأخذ العبرة و الخضوع لله عزوجل.

وقد كان استيلاء العرب على مواطن الثقافة اليونانية مثل جند يسابور ومدينة الرها المركز الرئيسي لأهم الشام المسيحيين، ومدينة حران وهي مقر أهل الشام الوثنيين و أنطاكية وهي إحدى المستعمرات الإغريقية القديمة و الإسكندرية و هي ملتقى الفلسفتين الشرقية والغربية وعمورية وأنقرة من أهم الأسباب التي مكنتهم من المخطوطات اليونانية و التي دفعتهم على استفادتها بترجمتها إلى السريانية ثم العربية .[1]

وهكذا انفتحت للعرب آفاق لعالم يمتد في الماضي و المستقبل.وهيأت لمفكري الإسلام من حكمة الشرق وفلسفة الغرب مادة ثرية متنوعة انصهرت في بوتقة ثقافتهم و حضارتهم .

وفي عصر المتنبي شاعت الفلسفة و ازدهرت فكان لها أن اتبعت منذ هذا العصر مع علوم عقلية أخرى منهجا علميا و أصبحت تخضع لأسلوب مذهبي خاص وقد سايرهم علم الكلام ،واقبل عليها المتأدبون .

وقد بينا منذ قليل إن فلسفة المسلمين استمدت أصولها من الفلسفة اليونانية بما نقل إلى العربية، وقد لقيت انتشارا كبيرا في عصر المتنبي ، وان المتتبعين لحياة المتنبي يخبروننا ،بلقاء هذا الأخير بالفارابي في بلاط سيف الدولة .

وإذا كان الفارابي قد اهتم بدراسة مؤلفات أرسطو،حتى أسماه أهل الشرق المعلم الثاني ولعلهم يقصدون بذلك أنه ثاني أساتذة الفلسفة ومعلميها بعد أرسطو الملقب بالمعلم الأول.[2]

فهل يمكن القول بأن المتنبي تأثر بفلسفة أرسطو عن طريق ما سمعه من الفارابي ؟ وأنه صاغ بعض حكمه انطلاقا من فلسفة أرسطو؟ إن الذين لا سبيل إلى رده هو أن آثار الفلسفة العقلية قائمة في شعر المتنبي وعلامات الانتفاع بجهود الفلاسفة واردة في إنتاجه. وليس معنى هذا أن المتنبي أن تتلمذ على أيدي شيوخ تعلم عنهم الفلسفة، حيث " إن انتشار الأفكار الفلسفية و تسربها لا يحتاج إلى الجلوس بين يدي شيخ ولا إلى الانتظام في مدرسة معروفة " [3].

ومعروف على المتنبي أنه طلعة يقضي جانبا كبيرا من ورقته في القراءة و التمحيص وأنه رجل عرف بالذكاء الحاد. ومن ثمة يمكن القول بأن المتنبي كان أميل إلى العصامية في التحصيل العلمي و هذا ما جعل الدكتور طه حسين يقول بأن الشاعر" تعلم على غير معلم و لم يأخذ ثقافته وأدبه عن الأساتذة والنقاد وإنما أخدها عن الكتب و الصحف " [4].

1- انظر أمين.أحمد.ضحى الإسلام.ج1.ص178.

2- انظر ابن خلدون .عبد الرحمن.المقدمة.دار إحياء التراث العربي .بيروت.ص535.

3- شعيب.محمد عبد الرحمن.المتنبي بين ناقديه.ص 233.

4- حسين.طه.مع المتنبي .ص113.

غير أن الدكتور شوقي ضيف يرى بأن المتنبي – اعتمادا على ما جاء في خزانة الأدب للبغدادي . قد مدح أبا الفضل الكوفي ،ولزمه ، وكان من المتفلسفة ، فدرس الفلسفة عليه .[1]

ومهما يكن من أمر فإن شعر الحكمة عند المتنبي قد تلون بلون الثقافة العقلية والدراسة الفلسفية وأن" اجتماعه بالفارابي في بلاط سيف الدولة الحمداني و بقاءهما معا ما يقرب من عامين (377هج/339هج) "[2] .

قد جعله يقرأ بعض مؤلفات أرسطو و يتأثر ببعض ما قرأ، لأن شاعرنا " كان شغوفا بالقراءة كثير الإطلاع ، قوي الحافظة ،واسع الإدراك " [3] .

فالمتمعن في بعض حكم المتنبي يدرك لا محالة تأثره بالفكر الفلسفي اليوناني. ولا بأس من الوقوف على بعض مظاهر هذا التأثر، كما أوردها صاحب الرسالة الحاتمية .[4]

1- ضيف. شوقي.الفن ومذاهبة في الشعر العربي.ص304.

2- شعييب.محمد عبد الرحمن.المتنبي بين ناقديه.ص235..

3- المرجع نفسه .235.

4- الحاتمي .الرسالة.ص23.وما بعدها.

وقد وقع اختيارنا على الصحيح منها. لأن الحاتمي لم يكن مصيبا في كل ما ساقه من تأثر المتنبي بأرسطو. قال أرسطو :" الزيادة في الحد نقص في المحدود ".

وقال المتنبي:

متى ما ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازدياد

وقال آرسطاطاليس :الأشكال لاحقة بأشكالها، كما أن الأضداد مباينة لأضدادها.

قال المتنبي :

وشبه الشيء منجذب إليه و أشباهنا بدنيانا الطغــام

وعلى العموم ،إننا نرى في المتنبي نموذج المثقف العربي الذي استطاع أن يستفيد حركة تطور الثقافات في عصره وانتقال المعارف،فجسد في حكمه بحق قدرته حسن عرض القضايا الفلسفية عرضا فنيا جميلا

ب) الفكر الفارسي و أثره على العقلية العربية :

إن اتصال العرب بالفرس يرجع إلى حوالي منتصف القرن الثالث الميلادي حين أسس الفرس إمارة الحيرة على نهر الفرات وملكوا عليها أمراء عربا،فكان لهؤلاء العرب أن تأثروا بالمدينة الفارسية مثل ما هو بالنسبة إلى الشاعر عدى بن زيد (587م)،وقد ظلت الحيرة خاضعة لنفوذ الفرس حتى فتحها خالد بن الوليد سنة (633م).[1]

وكان للعرب أن تأثروا بحضارة الفرس في كثير من جوانبها فحصل التأثر في طرق المعيشة وفي العادات و التقاليد الفارسية لأن الفرس كانت حضارتهم أقوى الحضارات قبيل الإسلام، كما كانوا القوة الحقيقية في قيام الدولة العباسية، فأخذ العباسيون عنهم بعض نظم الحكم و فن العمارة ،و الثقافة ، وقلدوهم في المأكل و الشرب والملبس وتشييد القصور، وتجميل المدن بالحدائق و النافورات ،كما تأثروا بهم في مجالس اللهو و الطرب و الموسيقى والغناء وألوان الزينة و وسائل الترفيه .

أما الحياة الفكرية فقد تطورت في هذا العصر العباسي حيث وضعت أسس العلوم والفنون وقد قام بذلك علماء العصر العباسي العباقرة من عرب و غيرهن وكان لغير العرب في تلك النهضة العلمية أثر واضح و لاسيما العنصر الفارسي .
وقد نبع من الفرس أشخاص كثيرون ،يكفي ذكر عبد الله بن المقفع و بشار بن برد و الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس، في الأدب. والفارابي وابن سينا والغزالي في الفلسفة و التصوف .[2]

وعلى وجه الاختصار إن " هؤلاء الفرس الذين تعربوا،وهؤلاء العرب الذين أخذوا بحظ من الثقافة الفارسية ملأوا الدنيا في هذا العصر العباسي علما و حكمة و نثرا "[3] .

1- انظر حسن إبراهيم.زعماء الإسلام .ص121.
2- ينظر ضيف.شوقي .العصر العباسي الأول.ص289/201.
3- أمين أحمد .ضحى الإسلام .ص181.

وما يهمنا في معرض الحديث عن الثقافة الفارسية – التي أسهمت في إثراء الثقافة العربية و إغنائها عندما تحولت إليها – هو التعرف على العقل الفارسي في مجال إنتاج الحكمة و مدى توافق بعض حكم المتنبي مع هذه الحكم الفارسية ،ويكون هذا التوافق مؤشر التأثرلا محالة.ولعلنا نتبين هذا من خلال استعراض بعض الموضوعات التي عالجتها الحكم الفارسية و نقر بأنها عالجت مسائل كانت لها أصداء في حياتهم منها:

- العقـل و العلـم :

ترفع الحكمة الفارسية العقل إلى مرتبة عالية في سلم الفضائل لا يضاهيها إلا العلم.
ويذكر أنه قيل لأنوشروان :" ما بزر جميع الفضائل ؟ قال العقل و العلم ،قيل :هل العقل و العلم شيء ؟ قال :التوفيق يزينهما و الخذلان يشينهما، وتلح حكم الفرس على طلب العلم الذي هو سبيل لصلاح الدين و الدنيا ،فقد قال أحدهم (لسنا بالكد في طلب المتاع الذي نلتمس به دفع الضر والعيلة بأحق منا بالكد في طلب العلم الذي نلتمس به صلاح الدين و الدنيا) .[1]

- الحلـم :

لقد أكدت حكمة الفرس على خلق الحلم، وهي خلة تكسب صاحبها وقارا وتجعل الناس ينظرون إليه نظرة إكبار، وفي هذا يذكر أن أنوشروان سئل :أي مناقب المرء زين له ؟ قال : الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة، والجود بغير طلب الثواب ،والاجتهاد للدار الباقية لا للفانية ومن ذلك أيضا الحكمة القائلة " الحلم ترك الانتقام مع إمكان القدرة " [2] .

- الشجاعة :

إن الحياة العسكرية للفرس أملت عليهم الميل إلى الشجاعة ،و الشجاعة عندهم هي (سعة الصبر بالإقدام على الأمور المتلفة) [3]

وترسم نصائح الفرس وحكمهم سبيل الشجاعة و الإقدام إذ تقول :

أيها المقاتل احتمل تغنم، ولا تفكر في العاقبة فتهزم ، وقد قيل من ذلك : ما ثمرة الشجاعة ؟ وما ثمرة العلم ؟ قيل : ثمرة الشجاعة الأمن من العدو ، وثمرة العلم الأمن من الذنوب.[4]

1- العاكوب .عيسى.تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي.ص111.
2- المرجع نفسه ص.112.
3- المرجع نفسه ص 114.
4- المرجع نفسه .ص114.

والمتفقد لحكم المتنبي المبثوثة في قصائده الشعرية يدرك أن الشاعر تطرق إلى المواضيع التي عالجتها الحكم الفارسية. وإذا كان الأمر كذلك، ما هي أوجه التوافق بين هذه الحكم الفارسية وحكم المتنبي – إن وجد ثمة توافق - ؟ بين حكم المتنبي التي تناولت الموضوع نفسه،يتبين لنا مدى التوافق من عدمه.
فقد جاء عن "الحلم" في الحكمة الفارسية:"الحلم ترك الانتقام مع إمكان القدرة" وفي هذا المعنى نفسه يقول المتنبي مخاطبا ممدوحه :

رأيتك محض الحلم في محض قدرة و لو شئت كان الحلم منك المنهدا [1]

إن "الحلم" بكسر الحاء معناه " الأناة وضبط النفس "وهي صفة من صفات العقل.[2]

و الشاعر يقول في هذا البيت مشيدا بممدوحه: رأيتك تتصرف بأناة وضبط نفس خالصة نابعة عن قدرة لا يشوبه عجز ولا تقصير، ولو أردت أن تقيم الحد عقابا بدل التأني و التروي والعفو لفعلت دون أن يمنعك أحد .
و الشاعر يريد أن يبين في هذا البيت الممدوح مال غلى الحلم مختارا فهو مشكور على هذه الفضيلة، وحلمه لم يكن ناتجا عن عجز أو غلبة. وهذا هو المعنى الذي تقره الحكمة الفارسية إذا تقول بأن حقيقة الحلم في العفو عند المقدرة .
وفي موضوع – العاقل و الجاهل – ترى الحكمة الفارسية أن " العين الثرة للحكم إنما هي كلام العاقل " أي إن الحكم الصائب السديد مصدر العقل النير.
تم تضيف الحكمة " كلام العاقل كله أمثال وكلام الجاهل كله ملال " وإذن فكلام العاقل منتقي يقتدى ويحتذى به لصحته و صوابه،بينما كلام الجاهل مثير للكلل و الملل لسطحيته وسذاجته و فراغه من قوة المعنى وميله إلى ضعف المبنى، ففي فيدفع في نفس السامع السأم و القلق والشعور بالتعب و الشقاء لعبده عن الإيفاء بلذة السمع وإمتاع الفكر. وضمن الحديث عن العقل يرى المتنبي بأن :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول و هي المحل الثاني [3]

فالشاعر يرى بأن الشجاعة الحقة هي التي تصدر عن العقل، فإذا كانت غير مقرونة به، كانت مصدر هلاك صاحبها .
وبقدر ما ينوه المتنبي بالعاقل نراه ينعى على الجاهل الذي يشقى بجهله حيث يقول :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله و أخو الجهالة في الشقاوة ينعم [4]

1- البرقوقي.شرح ديوان المتنبي.ج2.ص11.
2- مجمع اللغة العربية.المعجم الوسيط.ط2.مادة حلم .ص380.
3- العكبري .التبيان في شرح الديوان.ج4 .ص174.
4- البرقوقي .شرح ديوان المتنبي .ج4.ص251

ومفاد هذا الكلام أن الشاعر يقول: إذا كان العاقل يمضي وقته في التفكير في عواقب الأمور فيشقى، لما يشعر به من معاناة غير أنه شقاء نعيم الفكر ولذة استخدام العقل، فإن الجاهل يعيش في شقاء وبؤس وعدم اكتراثه بهما يوهمه بالنعيم لكنه نعيم مزيف، مصطنع .والحكمتان المتصلتان بالعقل – كلتاهما – تصبان في تبيان مصدر الحكم السديد ،سواء الحكمة الفارسية أو ما جاء في البيت الشعري للمتنبي .
وأما الحكمتان اللتان تخصان الجهل فكلتاهما تقر بأن الجهل مبعث الشقاء في حياة الإنسان .
الأولى – أي الفارسية – لأنها تعتبر الجهل مثيرا للملل والملل ضرب من شقاء النفس والثانية – للمتنبي – تجسد شقاء الجاهل بحكم جهله .
ومن خلال إجراء هذه الموازنة السريعة بين الحكم الواردة عن الفرس وحكم المتنبي التي تتطرق إلى المواضيع نفسها يتبين لنا أن التوافق في المعاني ثابت. وما بقي لنا إلا أن نتساءل أهو توافق عرضي ؟ أم هو توافق من باب " وقع حافر على حافر" كما كان يردد المتنبي نفسه في مثل هذه المواقف ؟ أم هو ناتج عن اطلاع مسبق للشاعر على الثقافة الفارسية ومنها حكمها واستيعابه لها ولا سيما أنه كان مولعا بمصاحبة الوراقين، معتكفا على القراءة والتمحيص ؟
ومما لاشك فيه أن عامل الترجمة و النقل كان الجسر العريض الذي عبرت عليه ثقافات الأمم المختلفة التي امتزجت بالدولة العربية. و الذي يبدو ذا شأن يذكر في هذا المقام هو أن تيار الترجمة من الفارسية كان من أقوى التيارات التي رفدت الثقافة العربية الإسلامية. ولهذا أسباب كثيرة لعل أبرزها ذلك النفوذ السياسي الذي كان للفرس في الدولة العباسية، والذي تبعه امتزاج في الجنس واللغة والثقافة والحياة الاجتماعية،هذا الامتزاج بين الشعبين العربي و الفارسي لم يتهيأ له أن يتم بين العرب وأمة أخرى من الأمم التي دخلت في دين الله – عز و جل – وقد كان لهذا السياسي الفارسي في دولة بني العباس أثر بارز في تحديد طبيعة الصلات الثقافية بين هذين الشعبين في وقت مبكر. وقد وطدت هذه الصلات الترجمة كا يقول الدكتور محمد محمدي : "كانت الكتب الفارسية أول ما ترجم إلى العربية من الآثار الخارجية في الأدب و السياسة، فوضعت في متناول حكام العرب و قادتهم ثمار تجارب عديدة من الحكم و السياسة، و أصنافا من العلوم والآداب كانت تجمع معرف العصر،وشطرا كبيرا من التراث الحضاري الإنساني، فكانت هذه التراجم الفارسية أقدم كتب وجدت في اللغة العربية في تلك الفنون .[1]

وطبيعي أن تكون كتب الحكم والنصائح والوصايا السياسية والاجتماعية تبعا لهدا الحال في طليعة الكتب الفارسية التي تناولتها أقلام المترجمين بالنقل والتعريب. وقد نجم عن ذلك أن راج هذا الجنس الأدبي في الأوساط العربية الإسلامية رواجا مفرطا. وقد أشار الدكتور محمد غنيمي هلال إلى بعض أسبابه فقال:" وإنما راج هذا الجنس الأدبي لدى العرب بتأثير الإيرانيين القدماء،ثم لدى الفرس من المسلمين فيما بعد، لأن النصائح فيه عملية غير فلسفية، ولها مساس بشؤون الحياة اليومية، فهي أقرب إلى طبيعة العرب الأولى، التي كانت لا تميل فطريا إلى التعمق في النظريات، ثم إن هذه الحكم مسوقة في أصلها مباشر من غير قرائن مسرحية أو ملحمية طويلة، وهذا طابع شرقي للحكم وهو مخالف للطابع اليوناني ". [2]

و الخلاصة، إن هذا الحديث كان وراء كثير من الحكم التي ترجمت إلى العربية. والتي دون شك كان للمتنبي نصيبه منها. فتناول منها ما يوافق مزاجه و فكره بالتعديل أو بالإثراء وقد صاغها في قالب من التعبير الأدبي يمتلكه فجاءت حكما تقرع الأذن فلا تؤذيها و تستلب باللب فلا يضيق بها .

1- محمدي.محمد.الترجمة والنقل عن الفارسية.مكتبة الأنجلو ساكسونية.القاهرة.ص7.
2- هلال.غنيمي.الأدب المقرن.دار النهضة.مصر.1973.ص371.

3)- الـثـقـافـة الـهـنـديـة :

اتصل العرب، في جاهليتهم بالهند وتاجروا معها، و أولعوا بسيوفها .
وفي أيام الوليد بن عبد المالك،تم فتح السند (91هج)، وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور امتد الفتح إلى كابل و كشمير. وقد نتج هذا الفتح :[1]

- اعتناق جماعات من اليهود الدين الإسلامي، وبالتالي امتزاج روحانية الهند بروحانية الإسلام.
– احتكاك العرب بالهند جعل العرب يحكموهم و يعلموهم إسلامهن ويطلعون على أدياهم .
وقد عني العرب بالهند جغرافيا، وعلوما، ولكنهم ما تعمقوا و لا استقصوا. قال القفطي: " ولبعد الهند عن بلادنا، قلت تأليفهم عندنا ،فلم يصل إلينا إلا طرف من علومهم ولا سمعنا إلا بقليل من علمائهم، وقد اهتم العرب بحساب الهند و نجومهم وطبهم ". [2]

وقد تم تأثير الثقافة الهندية في الثقافة العربية الإسلامية عن طريق التجارة و الفتح الإسلامي وكذا عن طريق الثقافة الفارسية. حيث إن النقل الذي تم من الثقافة الفارسية إلى العربية كان يحمل في ثناياه شيئا من الثقافة الهندية .[3]

وإن ما يهمنا من التأثير الهندي في الثقافة العربية إنما هو موضوع الحكم، حيث إن العرب قد أخذوا الكثير من الحكم الهندية. والظاهر أن هذه الحكم كانت أكثر موافقة لمزاجهم العقلي من جهة، ومن جهة ثانية أنها أشبه شييء بالأمثال العربية، إذ صيغت فيها المعاني الغزيرة بالمباني القليلة، فعلقت بقلوبهم واستهوت عقولهم. ولما كانت الحكم " نتيجة تجارب كثيرة " يعبر عنها – عادة – بجمل بليغة، فقد وجدت في العقول ميلا إليها قبل مظاهر الحياة العقلية الأخرى .[4]

1- أمين.أحمد.ضحى الإسلام.ج1.ص229
2- القطفي.إخبار العلماء بأخبار الحكماء.ص27.
3- ينظر قمير يوحنا.أصول الفلسفة العربية.منشورات المطبوعات الكاتوليكية 1967.ص48.
4- أمين.أحمد.ضحى الإسلام.ص 233.

ومن أشهر كتب الهند في حكمة :" كتاب هابل في الحكمة " و " كتاب بيدبا في الحكمة " بالإضافة إلى كتاب " كليلة و دمنة " الذي انتقل إلى الثقافة الفارسية و قام بترجمتها عبد الله بن المقفع من الفهلوية إلى العربية في القرن الثاني الهجري .

ولنتعرف على بعض هذه الحكم الهندية التي أعجب بها العرب و أولعوا، و نكتفي بإطلالة سريعة على كتاب " عيون الأخبار " لابن قتيبة.

يقول ابن قتيبة :[1]
قرأت في كتب الهند :" شر المال ما لا ينفق منه، وشر الإخوان الخاذل ، و شر السلطان من خافه البريء، و شر البلاد ما ليس فيه خصب و لا أمن "

ونجد في كتاب " سراج الملوك " [2]
ما تيسر في حكم " شاناق " الهندي يتضمن نصحا للملوك و الولاة بالعدل في الرعية مع ضرب الأمثال، و قد أوعز يحيى بن خالد إلى رجل يعرف بأبي ألحاتم البلخي بنقله إلى العربية . [3]

وإذا ما تفقدنا الشعر العربي في العصر العباسي ،فإننا نجد هذا الشعر من أثر حكم الهند أو فكرهم.
ومما جاء في شعر أبي نواس :

قل لزهير إذا حدا و شدا أقلل و أكثر فأنت مهذار [4]

1- ابن قتيبة.أبو محمد عبد الله بن مسلم .عيون الأخبار.ج2.ص263.
2- المرجع نفسه.ج2.ص264.
3- زيدان .جرجي.تاريخ التمدن الإسلام.دار مكتبة الحياة.بيروت 1967.ج2.ص175 .
4- حسن .طه.حديث الأربعاء.ج2.ص62.

سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار

قال ابن قتيبة :" وهذا الشعر يدل على نظرة في علم الطبائع، لأن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حارا مؤذيا "

وإذا ما جئنا إلى تفحص حكم المتنبي في شعره وحاولنا البحث عن الأثر الهندي فيها ظننا لن نخيب في العثور على هذا الأثر. فعلى سبيل المثال، تقول الحكمة الهندية : - كما سلف الذكر – " شر المال ما لا ينفق " أي ما عمل صاحبه على جمعه وادخاره دون الانتفاع به، فيعيش عيشة الفقراء المحرومين فينقلب ماله شرا عليه .وفي هذا السياق يقول المتنبي :

و من ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر [1]

ومعنى هذا البيت : إن الذي يمضي وقته في جمع المال دون إنفاقه فيما ينفعه إلى مصارف الميسورين المكتفين فقد عاش عمره فقيرا محروما. حيث إن قيمة الشيء بالانتفاع به و إلا فهو و العدم سيان.
و انسجام المعنى بين الحكمة الهندية و حكمة المتنبي وارد.
و الاستنتاج الموضوعي يجعلنا نقول بشيء من التحفظ أن شاعرا مثل المتنبي المولع بالمطالعة و الاطلاع على مصادر العلم و المعرفة. يكون قد تفحص آثار الثقافات الأجنبية التي نقلت إلى العربية من فارسية و يونانية وهندية و استفادها في شعر الحكمة بصورة خاصة. يقول الدكتور شوقي ضيق: " لقد نقل المتنبي كثيرا من الأفكار و العبارات الفلسفية إلى الشعراء و لكنه يحولها عن حقيقتها، ولعل أول ما يقابلنا عن ذلك حكمة الكثير التي شاعت في شعره وعرف بها عند القدماء و المحدثين .[2]

ونتيجة لثقافته الواسعة هذه، فقد كان ملما بالتيارات الفكرية التي دخلت الثقافة العربية منها – على سبيل المثال – المعرفة بآراء الدهريين، وذلك حين يقول :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب [3]

و المانوية مذهب منسوب إلى ماني (277 م) مؤسسة القائل بأن العالم نشأ عن أصلين هما النور و الظلمة، وعن النور نشأ كل الخير وعن الظلمة نشأ كل الشر .[4]

1- البرقوقي.شرح ديوان المتنبي.ج2.ص255.
2- ضيف .شوقي.الفن ومذاهبه في الشعر العربي .ص324.
3- البرقوقي.شرح ديوان المتنبي.ج1.ص302.
4- انظر قمير.يوحنا .أصول الفلسفة العربية.56.

و المتنبي يعارض " ماني " في هذا البيت بقوله :إن ظلام الليل عندي نعمة لأنه قد يحجب الأذى

عن الإنسان، فأصحاب المانوية كاذبون في زعمهم بأن الشر نشأ عن الظلمة .

و الخلاصة : إن ثمة عوامل متعددة منها داخلية أصلية و منها خارجية أجنبية تضافرت و اجتمعت لتجعل من الشاعر أبي الطيب المتنبي – بحق – حكيم الشعراء.

نقول هذا الكلام ،لأننا من الذين يؤمنون بأن نجم المتنبي إنما لمع وسطع في عالم الشعر العربي بفضل الحكم الكثيرة التي يحفل بها ديوانه الشعري وتتخلل قصائده الشعرية .

إن ابا الطيب المتنبي لما توافرت عليه نفسيته من موهبة فطرية و عمله عل إذكاء هذه الموهبة من إجهاد نفسه في الدراسة و التحصيل ثم ما عاشه من أحداث و ظروف تأرجحت به بين السارة الضارة وكذا ما صاحب من علماء وأدباء عصره. كل هذه مصادر أصلية استقى منها الشاعر تجاربه فصاغها حكما أحكم بناءها بفصل تحكمه في اللفظ وتوافره على المعنى. ثم ما لبث أن ثمار الثقافات الأجنبية الواسعة، فاتجه بشعره إلى استيعاب أساليب هذه المعارف و الآراء و الأفكار و من تمة شكلت مصادر أجنبية أدعمت ثقافة المتنبي سعة و عمقا فجعل الشعر عنده يعتمد أكثر ما يعتمد على العقل. وجعل قراءه يطلبون اللذة الفنية في العقل. فكان بحق حكيم الشعراء و شاعر الحكماء .

الفصل الثالث

الخصائص الفكرية و الفنية

لشعر الحكمة عند المتنبي

أ) الخصائص الفنية

ب) الخصائص الفكرية

في معرض البحث عن الخصائص الفنية والفكرية لشعر الحكمة عند المتنبي ،نتناول إبراز مميزات هذه الحكم وما لها من خصوصيات فنية و فكرية عند الشاعر.

على أن الحديث عن الخصائص الفنية هو حديث عن تشكيل اللغة وتوظيفها فنيا،يحقق الشاعر من خلال قيمة جمالية متفاعلة مع رؤيته ومتداخلة معها. والقصيدة الشعرية الجيدة تترابط أجزاء مكونتها في علاقات متنامية متداخلة بحيث يتم التفاعل فيها بين الرؤية والأداة يعني بين الشكل والمضمون .

و الشكل في العمل الفني عند النظرة الكلية لابد أن يكون انعكاس للمضمون الذي هو في النهاية مع الشكل يمثلان وجهة نظر الفنان عموما .

وما يهمنا – في البداية – أن نبين تجربة الشاعر في توظيف الكلمة توظيفا شعريا يعبر عن رؤيته الخاصة و حدسه الفني من خلال الحديث عن الخصائص الفنية في صوغ حكمه .

أ)- الخصائص الفنية :

ولا شك في أن القارئ قد أدرك من خلال الدراسة أن لغة الشعر ند المتنبي لغة خاصة غريبة لها أسرارها الخاصة وعالمها السحري ونبضها الإيقاعي المتفرد و قد لوحظ هذا من قبل أبي العلاء المعري فيها يرويه عنه الو احدي في شرحه لديوان المتنبي فيما يأتي :" قرأت على أبي العلاء المعري ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب .فقلت له يوما: ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها، فأبان لي عوار هذه الكلمة التي ظننتها ثم قال لا تظن انك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها . فجرب إن كنت مرتابا. وهاندا أجرب ذلك منذ العهد. فلم اعثر بكلمة لما أبدلتها أخرى كانت أليق بمكانها. وليجرب من لم يصدق بجد الأمر على ما أقول " [1]

لقد أدرك أبو العلاء المعري مع ما يروي عنه من تحيز للمتنبي إن الشاعر الجيد شان المتنبي في كلماته لا يقدم كلمات عادية أو مصطلحات يمكن استبدالها و إنما هو يحاول أن ينغم حالته النفسية. إنه بمفهوم الفن الحديث يحاول أن يبحث في اللغة عن الأصوات التي تتفق مع نغمة النفس أو تقرب منه و تربط الأصوات بكلمات و تتجمع الكلمات ببواعث أو دوافع ينتج عنها في نهاية الأمر معنى أو مضمون "[2]

1- الواحدي.شرح ديوان المتنبي.دار بيروت للطباعة والنشر.بيروت.1983.ص112.

2- مكاوي.عبد الغفار.ثورة الشعر الحديث.الهيئة المصرية للكتاب .القاهرة 1972.ج1.ص89.

إن المتمعن في قراءة شعر المتنبي عامة وفي حكمه خاصة،يدرك أن الشاعر تمكن من إحراج لغة مكنته من البوح باختلاجات ذاته ومغامراته مع الواقع ومع الحياة، فكان لهذا اللغة أن امتزج فيها العقل بالشعور . وهذا الكلام يقودنا حتما إلى إثارة الحديث عن الخيال و الصورة الشعرية أولا ، وعن اللغة و الموسيقى ثانيا ؟ وذلك إيفاء بالجانب الفني في حكم المتنبي .

والخيال من أهم عناصر الأثر الأدبي، فنحن نعلم أن معلوماتنا عن الكون والحياة وأنفسنا تصلنا عن طريق الحواس، وإن شعور المرء بأشياء حاضرة فعلا تؤثر في حواسه، هو ما نسميه "الإدراك الحسي "أما شعور الإنسان بأشياء غير حاضرة، واستعادة المرء في ذهنه الصور التي أدركها من قبل الحس فهو ما نسميه الخيال أو التخيل .

والصور التي نتصورها بملكاتنا قد تكون صورا لأمور تدرك بالصر أو بالسمع أو اللمس أو بالذوق أو بالشم أو بالحركة مثلا. وقد تكون هذه الصورة مطابقة للإدراك الحسي تمام المطابقة ، وقد تكون من باب التخيل الإبتداعي أو بمعنى آخر ألابتكاري ، كأن نتصور إنسانا في شكل حيوان[1] .

وعلماء البيان يقسمون الصور المستحضرة في الذهن إلى قسمين: [2]

- صور ترتسم في الخيال بعد إدراكها بالحس المشترك، حيث تتأذى إليه عن طريق الحواس الظاهرة..وهذه الصور عندهم داخلة في الحسيات.

- صور ترتسم في الخيال، وهي معدومة فرض اجتماعها من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس ، كقول المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام [3]

إن الشاعر قد تخيل حال الذي اعتاد الهوان فيتحمله و لا يتألم بحال الميت الذي يتعرض للجرح فلا يتألم له .

وقد ذهب الشاعر الإنجليزي (كولريدج)إلى نظرية أخرى في الخيال،هي أن :الخيال ليس تذكر شيء أحسسناه من قبل وليس ابتداع صور جديدة مركبة من حسيات وابتكارات بل هو في الواقع خلق جديد، خلق صورة لم توجد، وما كان لها أن توجد بفضل الحواس وحدها أو العقل وحده، خلق صورة تأتي ساعة تستحيل الحواس و الوجدان و العقل كلا واحدا في الفنان، وقد شرح كل ذلك في كتابه " حياة الأدب " [4].

1- انظرخفاجي.محمد عبد المنعم.دراسات في النقد الأدبي الحديث ومذاهبه.دار الطباعة المحمدية.القاهرة.ص41. 2- انظر المرجع نفسه.ص43.

3- العكبري.التبيان في شرح الديوان.ج4.ص94.

4- جويتو. جان ماري. مسائل فلسفة الفن المعاصر .ص90.

و الخيال يغلب على الشعر أكثر من علبته على النثر وتبدو صوره بالنسبة إلى النص الأدبي في التشبيه و المجاز والاستعارة والكناية وما شابه ذلك. والأدب يستطيع بخياله أن يبعث في النص الأدبي قوة و روحا وحياة، وكلما تعمق الأديب في الأدب وتذوقه كانت حاجته إلى الخيال أكثر.

و بالرجوع إلى عصر المتنبي نرى أن نقاده فهموا الخيال على أنه جنوح غير مستحب، وفهموا الصور الشعرية عل أنها علاقة إضافية توضيحية، فاستعاروا في مصطلحاتهم النقدية ، المصطلحات المستمدة من صفات الأزياء و الثياب مثل التقسيم و التذليل و التدبيج والتوشيح، فيرى قدامه بن جعفر في كتابه نقد الشعر:" إن الشعر شأنه الصياغة و التصوير والنقش"[1].

وقد غاب عن هؤلاء النقاد أن المتنبي ينتمي إلى صنف فناني كل العصور، لأنهم فوق الزمان والمكان ، إنهم أولئك الذين يتميزون بالتفرد والخصوصية ،وهؤلاء هم الذين يحققون للبشرية الأعمال الإبداعية غير العادية.

إنهم أولئك الذين قال شوبنهاور في شأن آثارهم:" إن الأعمال الأصلية ذات التفرد لا يمكن الإتيان بها إلا حيثما كان المفكر أو الفنان منصرفا عن أراء معاصريه ومعتقداتهم، ومباهجهم، منكبا على عمله في هدوء غير مبال بانتقادهم محتقرا من جانبه لكل ما يمتدحونه هم.

فليس هناك من يستطيع أن يكون عظيما دون كبرياء كهذا، فإن ما صادفت حياته وأعماله غير قادر على فهم وإدراك مدى نبوغه و تقديره حق قدره،فإنه يكون على الأقل قد صدق مع نفسه، ويكون أشبه بمسافر رفيع الشأن ترغمه الظروف على قضاء الليل في خان حقير فما يكاد الصبح أن يتجلى حتى يذهب في طريقه قرير العين "[2] .

والمتفحص في حياة المتنبي يدرك – لا محالة – بأنه كان حقا ذلك المسافر الرفيع الشأن في كبريائه و تعاليه وفي تفرده و غربته. ولعل هذا ما يفسر عبقريته الإبداعية .

لم يخرج النقاد القدماء في ملاحظاتهم حول الصورة الشعرية عند المتنبي في تلك الملاحظات الجزئية التي تتعلق بالصور التقريرية الحسية، وذلك لأن مفهوم الصورة عندهم كما كان مفهوما إضافيا بمعنى أن المعنى قائم أساسا، ثم تأتي الصورة فتضيف إلى المعنى و تجمله وتحسنه، وهذا ما يفهم من حديث ابن قتيبة مثلا حول تقسيمه للشعر إلى ضروب حسب اللفظ و المعنى.[3]

ولكن الصورة الشعرية عند المتنبي كانت أبعد من هذا بكثير وفق هذا أيضا،لقد كانت صورا إيحائية ترتبط بالموقف النفسي ونموج بالحياة و الحركة،و تتدافع نامية متطورة لتبعث الحياة و الدفء في كل ما يتناوله الشاعر من معنى،محققة بذلك بناء عضويا متفردا وأصيلا .

لقد كان المتنبي في الواقع صورة صادقة لما يصف به الناقد دريدن شكسبير حينما قال :

" إن جميع صور الطبيعة حاضرة في دهنه دائما، فهو لا يولد هذه الصور عن جهد و مشقة و إنما تأتيه عفوا ".[4]

1- ابن جعفر.قدامة.نقد الشعر.تحقيق كمال مصطفى.دار النهضة المصرية.ص101.

2- سوندرن. بيلي.فن الأدب .ترجمة شفيق مقار.الدار القومية للطباعة والنشر 1966.ص203/202.

3- انظر ابن قتيبة. الشعر والشعراء .ص423.

4- هدارة .محمد .مقالات في النقد الأدبي .دار القلم .بيروت.1964.ص42.

ثم أليس هو القائل :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم [1]

أنام ملء جفوني عن شواردها و يسهر الخلق جراها و يختصم

ويعد الثعالبي من أكثر النقاد القدماء الذين عابوا على المتنبي إعرابه في استعاراته حيث يقول تعقيبا على بعض الأبيات التي ذكرها تمثلا لأبعاد الاستعارة عند الشاعر،والخروج بها عن حدها " فجعل للطيب و البيض و اليلب قلوبا وللحساب حمى وللزمان فؤادا و للكبد شيبا،وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد، و إنما تصح الاستعارة و تحسن على وجه من الوجوه المناسبة و طرق من التشبه و المقاربة ".[2]

وإذن لقد أثرت النظرة الجزئية للعمل الفني التي كانت مسيطرة على النقاد العرب القدماء في تناولهم لصور الشعر، فلم ينظروا إلى التجربة في وحدة واحدة، وإنما نظروا إلى العلاقات الجزئية فيها .فقد جرتهم هذه العلاقات الجزئية إلى البحث في مشكلة هامة شغلت مركز النقد العربي،وهي مشكلة السرقات وكيف سرق هذا معنى ذاك أو سرق صورته، وانشغلوا بالبحث في أوجه هذه السرقات و بيان درجتها وما يقبل منها وما لا يقبل .[3]

ولم يفطنوا بالتالي إلى حقيقتين هامتين في الدراسة الأثر الفني و هما : علاقة الصور بالموقف النفسي و علاقة الصورة الجزئية بالصورة العامة .

وفي ضوء علاقة الصورة بالموقف النفسي نقف على ما ورد من حكم في نونية المتنبي التي قالها وهو بمصر وقد بلغه أن قومها نعوه بمجلس سيف الدولة بحلب و التي مطلعها:

بم التعلل لا أهل، ولا وطن و لا نديم، ولا كأس، ولا سكن

و الموقف النفسي الذي صدرت عنه هذه القصيدة هو شعور المتنبي بتشفي أعدائه في بلاط سيف الدولة و خيبة أمله في كافور. وقد سجل الدكتور طه حسين إعجابه بهذه القصيدة لما تتوافر عليه من تصوير دقيق لألم المتنبي وحزنه، حقيقة إنه حزن شديد قاس ولده اليأس من بلوغ المرمى والعجز عن النيل من الأعداء .[4]

1- العكبري .التبيان في شرح الديوان .ج3.ص367.

2- الثعالبي .يتيمة الدهر .ج1.ص137.

3- انظر هدارة.محمد مصطفى .مشكلة السرقات في النقد العربي.ص44.

4- انظر حسين .طه. مع المتنبي .ص323.

ومن هنا لا يجد عزاء إلا في مخاطبة نفسه، و لنتوقف عند هذه الأبيات و هو يخاطب فيها نفسه:

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن [1]

لا تلق دهرك إلا غير مكترث مادام يصحب فيه روحك البدن

فما يدوم سرور ما سررت به لا يرد عليك الفائت الحزن

إن هذه الأبيات بالإضافة إلى كونها حكما تعكس خلاصة تجربة الشاعر في الحياة فهي أيضا جزء من نسيج حي متلاحم ترتبط بالبداية حيث البذرة الأولى للتجربة الشعرية. لقد فجرت البذرة الأولى الموقف،موقف التعلل بهذه السقطة التي تمثلت في غربة الشاعر ثم تنمو فيقدم الشاعر تطورا دراميا للموقف من خلال هذه الحكم التي هي في الواقع حوار مع النفس، يحاول من خلاله أو يؤكد لنفسه أن الأمور على ما يرام بالنظر إلى طبيعة الحياة. إنه أراد من هذه الحياة أنحاز أشياء يعجز عنها الزمن، فليس العيب في زمن و ليس العيب في نفسه كذلك، ولكن لو فطن الإنسان إلى حقيقة الحياة بأن الزمن لا يستقر على حال لهدأ و استكن وذهبت أحزانه.

ولا لوم ولا ذنب للنفس إذا، ما دام الحال هذه ألا نلاحظ في هذا الحوار مع الذات محاولة لإسكات صوت الداخل الذي لا يفتأ يؤنب الشاعر على تركه حلب و رحلته هذه الخاسرة إلى كافور.وبمواصلة قراءة أبيات القصيدة يكتشف القارئ ما يعانيه الشاعر من صراع نفسي :

يا من نعيت على بعد بمجلسه كل بما زعم الناعون مرتهن [2]

1- العكبري . التبيان في شرح الديوان.ج4.ص234/233.

2- المصدر نفسه .ج4.ص 236/235.

كم قد قتلت و كم قدم مت عندهم ثم انتفضت فزال القبر و الكفن
قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدرك على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن

وهذه القصيدة النونية – التي تناثرت فيها حكم و أمثال – صورة كلية جمع فيها الشاعر تجربته النفسية.هذه الصورة الكلية الممتدة بدأت بتفجير انفعالي هائل في تساؤلات المتنبي في بيته الأول من القصيدة، ثم تطور الموقف النفسي من خلال حوار متبادل مع الذات.

وتدافعت أجزاء الصورة الكلية في بناء ينمو مع تطور الموقف النفسي للانفعال عند الشاعر، فيصل إلى الدورة عندما يمتد الحوار بينه وبين نفسه ، ثم لا يلبث أن ينتهي إلى حالة من الهدوء عندما يتركز إلى عقله فيستلهم منه من الحكم ما يشفي غليله و يحد من وطأة ألمه.
وبهذا الأسلوب استطاع الشاعر أن يجعل من ملكته العقلية خير منجاة لما يحز في نفسه .

وهناك خاصة من خواص الصورة الشعرية عند المتنبي ،هي ما نراه في اتجاه المتنبي في صوغ حكمة إلى التجسيد و التشخيص.

وذلك بجعل الكلمة قادرة على تحريك الصورة في حيز زمني، وقدرة التصوير على تقديم مساحة مكانية لمشاهدة عدة. ولنتوقف عند قوله :

عش عزيزا أو مت و أنت كريم بين طعن القنا و خفق البنود [1]

1- المصدر نفسه.ج1.ص321/322.

فرؤوس الرماح أذهب للغيـــ ظ و أشفي لغل صدر الحقود
لا كما حييت غير حميد و إذا مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى و ذر الذ ل ولو كان في جنان الخلود

إن الشاعر يخاطب نفسه،بعدما اختبر الحياة و تكشفت له دخائلها فأدرك أن الحياة الحقة إنما تكون في ظل العز والكرامة بعيدة عن أسباب الذل و الهوان وحفاظا على هذه العزة فالموت في خضم المعارك أهون من الحياة. ولا شيء يذهب الغيظ و الغضب و يشفي الغليل في الحقود مثل التصدي له بالسلاح الفعال و إلا عاش المرء على هامش الحياة. ومن أجل صون العزة وجب على المرء أن يتحدى كل الصعاب مهما عظمت وإلا يقبل بالذل و لو في رحاب الرفاهية والنعيم .

لقد استطاع المتنبي في هذه الصورة أن يقدم لنا مشهدا متحركا حيث ربط الحياة بالعزة و الموت بالكرامة ،ولكن أي كرامة ؟ إنها تلك الكرامة التي تأتي للمرء من خلال اقتحامه لحرب ضروس تتلاقى فيها القنا بالأجسام طعنا و الأعلام خفاقة ، و رؤوس الرماح ترشق صدور الحاقدين ، وعندما يتبنى المرء مثل هذا المبدأ يعيش حقا حياة عزيزة كريمة لا أن يعيش على هامش الحياة. وفي طلب العز يهون كل شيء لأن الحياة في ظل الذل و الهوان ولو كانت محفوفة بالنعيم و الرخاء لا تفي بكرامة الإنسان. هذا هو المعنى الذي أراد المتنبي أن يقدمه في هذا المشهد .

و على العموم، إن المتنبي يسعى جاهدا إلى ابتكار صور شعرية جديدة فيها توافق يتناسب مع طموحه و سعيه و تمرده وبحثه عن الجديد، وهذه الصور في تكوينها الجزئي تسعى إلى التجسيد و التشخيص اللذين يسعيان إلى خلق حاسة جديدة تعتمد على التراسل و التداخل بين مجموع الحواس الإنسانية، وتعمل بواسطة قدرة تخيل تتحرك في مجال انفعالي يسيطر على التجربة الشعرية بأكملها، ويتحرك من خلالها في مجال إيحائي يرتبط بذلك الموقف النفسي ارتباطا وثيقا .

وباستنطاق ديوان المتنبي يتضح بجلاء تمجيده للعقل و تقديره لمكانته في الحياة فهو سابق على القلب ومفضل على القوة التي طالما مجدها و جعلها وسيلة لتحقيق كل غاية :

وأنفس ما للفتى لبه وذو اللب يكره إنفاقه [1]

1- المصدر نفسه.ج2.ص350.

ولم يكن إيمان المتنبي بالعقل مجرد معان يتضمنها شعره بل ظهرت في تصويره الفني المتفرد حيث ظهر ذلك في معالجته للصورة الفنية فجاءت في كثير من الأحيان عقلية المنبع و المصب و التدفق أيضا.
يقول وهو يدم أهل زمانه ويصفهم بالغباء والجبن والعي والعمى فلا يعتمد عليهم ولا يثق فيهم:

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد [1]

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

فيستعين في رسم صورته وتوضيحها للدهن بالتفضيل و تكراره،و المقابلة. والجمع بين الأضداد من أهم أركان الجمال في الشعر والأدب. وفي البيت الثاني استخدام الشاعر للتشبيه و الفصل معا لتأكيد حقيقة هؤلاء القوم،حيث الخسة و عمى البصيرة والبلادة و الجبن .
وقوله في نفس القصيدة يصف أصحابه مستخدما العقل في التصوير،وأيضا في تقريب و توضيح الصورة :

سأطلب حقي بالقنا و مشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد [2]

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

فيشبه أصحابه بالمرد لالتئامهم المستمر في القتال،ويستعين في توضيح صورهم بالتضاد بين ثقال – خفاف وكثير ،قليل، وكذلك الإيقاع الموسيقي الناتج عن التقسيم و التشابه الصرفي في أوصافهم ثقال ،خفاف و كذلك كثير ، قليل .
ومن صوره المبتدعة ،وصفه لطول ليله وسهاده فيه و أرقه الدائم حيث يقول :

أعزمي طال هذا الليل فانظر أمنك الصبح يفرق أن يؤوبا [3]

1- المصدر نفسه.ج1.ص374.
2- المصدر نفسه .ج1 . 373.
3- المصدر نفسه .ج1.ص 139.

كأن الفجر حب مستزار يراعي من دجنته رقيبا
كأن نجومه حلي عليه وقد حديث قوائمه الجيوبا
كأن دجاه يجذبها سهادي كأني فليس تغيب إلا أن يغيبا
أقلب فيه أجفاني كأني أعد به الدهر الذنوبا

ومن ينظر إلى هذه الصورة التي ابتدعها المتنبي – عدم عودة الصبح خوفا، و الفجر كالحب المستزار الذي يحذر الآخرين و الليل منتعل بالنجوم و يتحدى و جه الأرض وكان سهاد يجذب إليه ظلمة الليل – فلا تغيب إلا معه لا ينام كأنه يعد ذنوب الدهر التي لا تنتهي .....إلخ .
فهي صورة عقلية تولدت من فكر و الخيال ،إلا أنها محكومة بسيادة العقل ومن ثم كان على المتلقي إعمال فكره للوقوف على كنهها. يستعين الشاعر على تكوينها حسبما يرتضي العقل فيبرهن على عدم عودة الصبح في البيت الأول بما جاء بعد ذلك من براهين وتفاسير يخرج من برهان إلى برهان ومن تفسير إلى تفسير.
وفي سياق الحديث عن عناصر الأداء الفني في شعر الحكمة عند المتنبي نصل إلى الحديث عن اللغة و الموسيقى باعتبارهما بإعتبارهما ترتبطان بحالة الانفعال المسيطر على التجربة الشعرية وعلى رؤيا الشاعر .
وقد سبق ان ذكرنا في حديثنا عن المتنبي و عن بحربته الشعرية أنه شاعر طموح و التمرد والثورة التي لا تحدها حدود و التفرد الساعي إلى تأكيد ذاته في وسط تحديات كل معوقات الزمن ،والمتنبي هو قبل كل شيء من الشعراء الذين لا نستطيع أن نفصل لديهم بين الرجل و موقفه وكلمته، فهناك علاقة وثيقة وشديدة التداخل بين شخصية المتنبي وبين كلمته وموقفه .
وهكذا استطاع المتنبي على حد قول صاحب مقدمة للشعر العربي استطاع المتنبي أن يخلق " طبيعة كاملة من الكلمات من مستوى طموحه : ترج ،تتقدم، تجرف، تهجم، تقهر، تتخطى.... وكأنها جواب كيانه الداخلي وامتداده وتكملته .هذه الكلمات تخلق بدورها من خيال المتنبي وطموحه المعجز كونا أسطورة تغبره الأصداء والأصوات، ويملأه الضجيج و الصراخ، و يملؤه الصمت الأمير "[1]

وقد لاحظ هذا التأثير كذلك، د. محمد زكي العشماوي في دراسته عن المتنبي في كتابه " موقف الشعر من الفن و الحياة في عصر العباسي "، فرأى أن للغة المتنبي تشكيلات خاصة يتكون منها نسيجه الشعري و التي تبطل معها اللغة أن تكون " مجرد مجموعة متآلفة من الأصوات تدل إصلاحا على مقابل مادي فتصبح صوره صوتية و حدسية معا ، و العلاقة بين معناها ولفظها تقوم إما على اقتران الصوت بالموضوع أو الموقف الفكري أو الرؤية ،إما على اقترانه بالحس و الحدس " .[2]

1- أدونيس .على أحمد سعيد.مقدمة للشعر العربي.دار الثقافة.بيروت.ص56.
2- العشماوي.موقف الشعر من الحياة في العصر العباسي .ص250.

ومن خلال تحليلنا لشعر المتنبي نتعرض إلى مدى ارتباط عناصر الإيقاع في صوغ الحكمة عنده بالموقف النفسي و كذا السمات التي يتسم بها الإيقاع عند شاعرنا .
والمراد بالإيقاع كما سلف الذكر هو اللغة و الموسيقى.
وفي تقديرنا كانت مطالع مدائحه بحسد بحق براعة صوغ الحكمة عنده ولاسيما القصائد التي نظمها في مدح سيف الدولة التي فجر فيها الشاعر طاقة طموحه وعبر فيها عن إيمانه بخصال الممدوح فقد تبدت فيها براعة الاستهلال و سادتها لغة غريبة في تركيبها بها حوته من تقديم و تأخير،ومن حذف ومن استعمال خاص للعطف وللطباق و المقابلة ومن انتقاء خاص لكلمات بعينها ذات إيقاع يجعلنا نشعر معه بالقوة و الاعتماد بالذات و السمو.
ولنقف قليلا على بعض الحكم التي استهل بها مدائحه :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر الكرام المكارم [1]

و تعظم في عين الصغير صغارها و تصغير في عين العظيم العظائم

********** **********

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدى [2]

********** **********

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني [3]
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

********** **********

إذا غارت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم [4]
فطعم الموت في أمر صغير كطعم الموت في أمر عظيم

1- العكبري.التبيان في شرح الديوان .ج3.ص379/378.
2- المصدر نفسه .ج1 . 281.
3- المصدر نفسه .ج4.ص 174.
4- المصدر نفسه .ج4.ص 119

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن [1]

وإنما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن

لاشك في أن المتأمل في هذه المطالع يدرك مدى المغايرة للنسق الفني الذي عرفته القصيدة الشعرية العربية آنذاك في افتتاحيتها، وإن السبب في ذلك حسب تقديرنا بالنسبة إلى المتنبي هو البحث عن لغة جديدة حادة الإيقاع،تعكس ذلك المزاج المتوتر القلق الذي تحركه نفس طموح لا تحده و روح ثائرة لا تهدأ .

وقد لوحظ هذا من قبل الدكتور طه حسين حينما رأى أن المتنبي يجري في قصيدته " روحا عذبا غريبا ليس من اليسير وصفه ولا تصويره ولكنك تحسه إحساسا قويا بل أنت تقرأ القصيدة فإذا الروح يسبق ألفاظها و معانيها إلى قلبك و يشيع في نفسك خفة و طربا...

و الغريب أن هذا الروح العذب الخفيف يحتفظ بعذوبته و خفته في القصيدة كلها،ولكنه مع ذلك

الغريب أن هذا الروح العذب الخفيف يحتفظ بعذوبته و خفته في القصيدة كلها،ولكنه مع ذلك

يتخذ أشكالا و إن شئت فقل يتخذ ألوانا مختلفة تتباين بتباين المعاني و الموضوعات التي يطرقها الشاعر في هذه القصيدة ". [2]

وعلى العموم إن المتنبي قد وفق في اختيار كثير من ألفاظه في نسج حكمه توفيقا يشهد له بالسبق والتفرد على الكثيرين من شعراء عصره ، و الديوان حافل بنماذج لألفاظه التي تبين عن براعة الشاعر و عمق ثقافته اللغوية وتراء محصوله منها.

وما يجب الإقرار به هو أن المتنبي في صوغ حكمه كان دقيقا في اختيار ألفاظه حريصا على وضعها في المكان المناسب لها،يقدم حيث يجب التقديم و يؤخر حيث يجب التأخير،حيث أن استخدامه للتقديم و التأخير يأتي لوظيفة فنية تتعلق بما انطوت عليه نفسه وقت التعبير.

فإذا قال مادحا سيف الدولة:

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى [3]

فالمرء هو سيف الدولة المقدم في شجاعته و بأسه على كل امرئ .

1- المصدر نفسه.ج4.ص.209.

2- حسين طه .مع المتنبي .ص235.

3- العكبري .التبيان في شرح الديوان .ج1.ص281.

وكذلك في قوله [1]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فقدم عبارة " على قدر أهل العزم " لأن سيف الدولة من صنف أهل العزم ومن صنف الكرام .
وثمة ظاهرة أخرى جديرة بالملاحظة – في حكم المتنبي – ألا وهي استخدامه لألفاظ و تراكيب المتصوفة والفلاسفة وغيرهم من المتكلمين ومن المعروف أنه كان تلميذا لأبي علي الفارسي و صديقا لابن جني ، وهما من المعتزلة كما أنه التقى بأبي الفضل بالكوفة و بالفارابي عند سيف الدولة و هما من الفلاسفة .
و يروي الثعالبي انه جالس ورافق بعض المتصوفة فسمع منهم وعرف عنهم و تأثير بتعابيرهم و ثقافتهم حتى أخذ عليه البعض خروجه عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة و امتثاله لألفاظ الصوفية و استعمال كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة .[2]
وهو القائل متفلسفا :
إلف هذا الهواء أوقع في الأنفــ ـس أن الحمام مر المذاق [3]

وفي معنى هذا البيت ما يقترب من معاني و تراكيب أصحاب الفلسفة و المنطق وقد فطن أبو العلاء المعري إلى ذلك فقال " إنه و الذي بعده يفضلان كتابا من كتب الفلاسفة لأنهما متناهيان في الصدق وحسن النظام . وقال العكبري وهذا من قول الحكيم :" النفوس البهيمية تآلف مساكنة الأجساد الترابية فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها و النفوس الصافية بضد ذلك "[4]

وفي البيت الموالي له يضيف قائلا:

و الأسى قبل فرقة الروح عجز و الأسى لا يكون بعد الفراق [5]

1- المصدر نفسه .ج.3.ص378.
2- انظر الثعالبي .يتيمة الدهر.ج1.ص.172/171.
3- العكبري .التبيان في شرح الديوان .ج2.ص.369.
4- المصدر نفسه .ج2.ص369.
5- المصدر نفسه.ج2.ص 370.

وهذا البيت أقرب ما يكون لتعابير المناطقة و طريقتهم لإقناع الآخرين بصدق ما يقولون، فالتفكير في الموت قبل وقوعه ينغص العيش، فإذا جاء فعلا فلا علم لك به ومن ثم فلا حزن ولا أسى.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن المتنبي يكاد يتفرد في تاريخ الأدب العربي بالقدرة على استخدام الكلمة الشعرية بدلالاتها المتعددة و المتنوعة فهو يستخدمها كدلالة منطقية ،ويستخدمها كدلالة انفعالية ترتبط بالتجارب الوجدانية ،ويستخدمها كدلالة صوتية لما يمكن أن يعطيه صوت الكلمة من دلالات .

وإذن فالظاهرة اللافتة في شعر المتنبي هي وفرة العنصر الموسيقي الذي يعطيه الشاعر أهمية كبيرة حتى إنه ليكاد " يعطي لكل مظهر من مظاهر الحياة موسيقاه الخاصة و ألفاظه الخاصة.[1] والموسيقى في شعر المتنبي سواء أكانت موسيقى خارجية تتمثل في الوزن والقافية وفي التقسيمات اللفظية داخل البيت، أم كانت موسيقى داخلية نفسية،و الموسيقى في شعر المتنبي عنصر جوهري في قصيدته الشعرية على وجه العموم،يتخذها سبيلا لتأكيد مضامينها ،مع إقرار الاتساق والانسجام والتوافق بين المعنى واللفظ والموسيقى الداخلية والخارجية.لعل هذه الخصائص في شعر المتنبي هي التي جعلت شعره متميزا بخصائص لا تجدها في شعر غيره.

وفي تقديرنا فإن هذه الخصائص تستمد قوتها من الحكم التي يفتتح بها قصائده أو تتخلل أشعاره ولنستمع إليه في قصيدته التي يصف فيها معركة الحدث :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم [2]
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم
يفدى أتم الطير عمرا سلاحه نسور الملا أحداثها و القشاعم

وبتتبع موسيقى هذه القصيدة التي يزيد عدد أبياتها عن أربعين بيتا يمكن القول ببراعة الشاعر وتوفيقه في اختيار ما يحقق له الإبداع الموسيقي حيث يندمج اللفظ والمعنى والموسيقى ليصل به في النهاية إلى شعر يخلد خلود الزمن،مستعينا في خلوده بما أوتي من اتساق وانسجام وتوافق في موسيقاه الداخلية والخارجية.في بحره وقافيته،في اختياره لألفاظه ذات الجرس المؤثر والمعبر عما يعنيه الشاعر من حسن استخدامه للضرورات وبعده عن القبيح منها إلى غير ذلك من أسباب نجاح قصيدته .

هذا وقد لاحظ الأقدمون أن المتنبي كثيرا ما خرج عن الموسيقى التقليدية. لذا وجب التطرق إلى مظاهر هذا الخروج من حيث الوزن والثقافة .

1) من حيث الوزن :

نراه يخرج عن الأوزان التقليدية كقوله من بحر الطويل :

تفكره علم، ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف [3]

1- العشماوي .قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني.دار النهضة العربية.بيروت.ط1.ص252.

2- العكبري .التبيان في شرح الديوان.ج3.ص 381/378.

3- المصدر نفسه .ج2.ص 278.

فأتى بتفعيله لم يعرفها الشعر العربي في بحر الطويل وأشار إلى ذلك الثعالبي قديما بقوله : "وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب " مفاعيلن "في عروض الطويل غير مصرع. وإما جاء " مفاعلن" .قال الصاحب: ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء و الحدثين على بحر الطويل فما نجد له خطئه مساعدا "[1]

وقد علق الاستاذ عبد الوهاب عزام على خروج المتنبي عن الوزن بقوله:" هذا مبلغ ما أخذ عليه في الوزن، وهو أمر تختلف فيه الأنظار ولو غربلت دواوين الشعراء الآخرين على هذه الشاكلة. ما سلموا من مثل هذا "[2]

وإذا كان الشاعر قد حاول أو اتجه في بعض الأحيان إلى الخروج عن الأوزان التقليدية أو كسر هذا التقليد أو ذلك،إلا أن شعره في جملته يؤكد محافظته على هذا النمط التقليدي لموسيقى الشعر العربي بل بالغ في المحافظة عليه حينما قلد بعض الشعراء السابقين :

واستخدم الشاعر لوزن ملائم ومنسجم مع عاطفته أعطى للمعنى قوة ولأثره فاعلية .

فقوله : **بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد** [3]

هو أكثر تأثيرا في السامع عن قول أبي العتاهية في المعنى نفسه :

موت بعض الناس في الأرض على بعض فتوح [4]

وإن ما وفره الشاعر لهذه المعاني من إيقاع نغمي باختيار الوزن المناسب لعاطفته وكذا استخدامه الجيد للموسيقى الداخلية هو ما يفسر روعة شعر المتنبي وتفوقه على غيره.

ومن حسن استخدامه لأوزانه، استخدامه لبحر الوافر في بائيته التي نظمت بمناسبة تأديب سيف الدولة لبني كلاب و التي يقول فيها :

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب [5]

1- الثعالبي .يتيمة الدهر.ج1.ص 157.

2- عزام .عبد الوهاب.في ذكرى أبي الطيب.277.

3- العكبري.التبيان في شرح الديوان.ج1.ص276.

4- أبو العتاهية.أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم.الديوان.مطبعة جامعة دمشق 1965.ص66.

5- المصدر نفسه .ج1.ص83/79.

و إنهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعوا لحادثة أجابوا

ولو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

فبالإضافة إلى ما جاء في هذه القصيدة من معان متفردة،إلا أن وراء جودة هذه القصيدة حسن استخدام الشاعر لبحر الوافر. ومهما يكن من أمر، فإن اللافت للنظر في قصائد المتنبي أن ثمة علاقة أكيدة بين الوزن أو الإيقاع و العاطفة المسيطرة على الشاعر و شعره، وكثيرا ما يشكل بحر القصيدة مع معانيها و أفكارها وعواطف الشاعر نوعا من التنسيق و الانسجام الذي يخدم البناء و التجربة الشعرية، ولاسيما إذا تعلق الأمر بوصف المعارك الحربية .

2) من حيث القافية :

إن القافية من أهم أجزاء البيت الشعري ،وقد وضع العروضيون في سياق الحديث عن القافية في شعر المتنبي عامة وفي حكمه خاصة يلاحظ عدم وقوع الشاعر في العيوب التقليدية للقافية كالإيطاء والتضمين والإقواء، ولاشك في أن ما يمتلكه الشاعر من رصيد لغوي وكذا يمكنه من شاعريته كل ذلك حال دون وقوعه في الأخطاء التي حذر منها العروضيون، ولكنه بالمقابل وقع فيها يعد من عيوب موسيقى الشعر وعيوب قوافيه كاضطراره لما يسمى بالقافية المستدعاة وذلك كما في قوله :

سله الركض بعد وهن بنجد فتصدى للغيث أهل الحجاز [1]

قال أبو القاسم الأصفهاني تعليقا على القافية:" ذكر أهل الحجاز لأجل القافية "[2]

وقال ابن جني:" خص أهل الحجاز لأن فيهم طمعا،أو إنما جرت إليهم القافية "[3]
والرجلان – عموما – متفقان أن الشاعر ذكر أهل الحجاز لأجل القافية وهذا صحيح .
هذا،وقد أعجب القدماء كثيرا بالبيت الآتي :

أزورهم و سواد الليل يشفع لي و أثني و بياض الصبح يغري بي [4]

1- العكبري.التبيان في شرح الديوان .ج2.ص177.
2- الأصفهاني .الواضح في مشكلات شعر المتنبي .ص75.
3- العكبري .التبيان في شعر الديوان .ج2.ص177.
4- المصدر نفسه .ج1.ص 161.

ولعل مرد إعجابهم تفسره الموسيقى الظاهرة المتمثلة في المقابلة وما فيها من حسن استخدام للبديع. ولكن الدكتور طه حسين يرى غير هذا الرأي، حيث قال معلقا على هذا البيت " ولولا أني أجد في القافية انحدارا ثقيلا على السمع أشد الثقل فأنت بين اثنين : إما أن نجعل قوله : يغري بي في مقام الكلمة الواحدة فتنطلق بها موصولة ولا تشعر بما فيها من التفرق لتستقيم لك القافية على نظامها الموسيقي المألوف وإذن فقد أفسدت النطق وأساءت إلى الصوت اللغوي نفسه وإما أن تنطلق بهذه الجملة على وجهها فتشعر بأن لفظها يتألف من فعل وحرف وضمير وتنير الباء إن جاز هذا التعبير. وإذن فقد صح لك النطق اللغوي ونبت عليك القافية نبوا شنيعا".[1]

وفي مجال الضرورات،قد تضطره القافية أحيانا إلى استخدام لغة أخرى للكلمة غير اللغة الفصحى المألوفة كقوله :

لعيني كل يوم منك حظ تحير منه في أمر عجاب [2]

" فعجاب لغة في عجيب مثل طويل وطوال وخفيف وخفاف ونحوها "[3]

وبتفحص شعر المتنبي وقراءته قراءة موسيقية، جدير بنا أن نتساءل عن نوع الموسيقى الذي حظي باهتمام شاعرنا.
من الثابت عند النقاد أن الموسيقى الخارجية بوزنها وقافيتها وغير ذلك ليست هي العنصر الوحيد في موسيقى الشعر، فهناك ما قد يفوق الموسيقى الخارجية الظاهرة أهمية وأثرا ألا وهي الموسيقى الداخلية،وهي – حسب تقديري – موهبة توهب للشاعر المجيد، وتتمثل هذه الموهبة في مهارته عند استعماله للغة،اسما،وحرفا وفعلا ،وجملة ،لفظا ومعنى بحيث يحقق في النهاية جرسا داخليا،ونغما خفيفا ،يشيع في روح القصيدة محققا الجمال الموسيقي الذي لا ينفصل عن جمال الفن ذاته .
فالوزن هو الإطار الخارجي الذي يمنع القصيدة من التبعثر ، وهو يمثل الموسيقى الخارجية " وهي ليست كل شيء في موسيقى الشعر ،فهناك الموسيقى الداخلية من تناغم الحروف وائتلافها ،وتقديم بعض الكلمات على بعض واستعمال أدوات اللغة الثانوية بوسيلة فنية خاصة وغير ذلك مما يهيئ جرسا نفسيا خاصا يكاد يعلو على الوزن العروضي و يفوقه "[4]

1- طه حسين .مع المتنبي .ص301.
2- العكبري .التبيان في شعر الديوان .ج1.ص46.
3- ابن .لسان العرب .ج1.مادة عجب.
4- عيد.رجاء.الشعر والنغم دراسة في موسيقى الشعر .دار الثقافة.القاهرة 1975.ص21.

فإذا كانت الموسيقى الخارجية محدودة المعالم ،فموسيقى الشعر الداخلية أكثر سعة وامتداد ،لا نستطيع إدراكها – تماما – بحواسنا المعروفة،فالموسيقى الخارجية- يحكمها العروض وهي تتمثل في الوزن والقافية وداخلية وهي قيم صوتية خفيفة أرحب من الوزن والنظم المجردين .[1]

وإطلاقا من هذه المفاهيم المتعلقة بالموسيقى الداخلية، فإن قراءة متمعنة لشعر المتنبي تجعلنا نكتشف أن الشاعر قد أبدع في شيوع الموسيقى الداخلية في شعره، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدته الميمية التي نظمها بمناسبة خوض سيف الدولة معركة على الروم في قلعة الحدث، وإنما وقع اختيارنا على هذه القصيدة لكونها تتوافر على قدر موفر من الحكم.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر الكرام المكارم [2]

و تعظم في عين الصغير صغائرها و تصغر في عين العظيم العظائم

يكلف سيف الدولة الجيش همه و قد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه و ذلك ما لا تدعيه الضراغم

يفدي أتم الطير عمرا سلاحه نسور الملا أحداثها و القشاعم

وما ضرها خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه و القوائم

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي الساقيين الغمائم

سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فأعلى و القنا تقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم

طريدة دهر ساقه فرددتها على الدين بالخطي و الدهر راغم

تفيت الليالي كل شيء أخذته و هن لما يأخذن منك غوارم

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

وكيف تجري الروم والروس هدمها وذا الطعن أساسا لها ودعائم

1- انظر شوقي ضيف.الفن ومذاهبه في الشعر العربي.ص87.

2- العكبري .التبيان في شرح الديوان ج3.ص 392/378.

وقد حاكموها والمنايا حواكم فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها و العمائم

خميس بشرق الأرض والغرب زخفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تجعع فيه كل لسن و أمة فما يفهم الحداث إلا التراجم

فلله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

تقطع مالا يقطع الدرع و القنا وفر من الأبطال من لا يصادم

وقف وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

ضممت جناحيهم على القلب ضمه تموت الخوافي تحتها والقوادم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب وصار إلى اللبات و النصر قادم

حقرت الردينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتم

ومن طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

تدوس بك الخيل الوكور على الذرا وقد كثرت حول الوكور المطاعم

تظن فراخ الفتح أنك زرتها بأماتها وهي العتاق الصلادم

إذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتمشى في الصعيد الأرقم

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الإقدام للوجه لائم

أينكر ريح الليث حتى يذوقه وقد عرفت ريح الليوث البهائم

وقد فجعته بابنه وابن صهره و بالصهر حملات الأمير الغواشم

مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبا بما شغلتها هامهم والمعصم

ويفهم صوت المشرفية فيهم **على أن أصوات السيوف أعاجم**

يسر بما أعطاك لا عن جهاله **ولكن مغنوما نجا منك غانم**

ولست مليكا هازما لنظيره **ولكنك التوحيد للشرك هازم**

تشرف عندنا به لا ربيعة **وتفتخر الدنيا به لا العواصم**

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه **فإنك معطية و إني ناظم**

وإني لتعدوني عطاياك في الوغى **فلا أنا مذموم ولا أنت نادم**

على كل طيار إليها برجله **إذا وقعت في مسمعيه الغماغم**

ألا أيها السيف الذي لست مغمدا **ولا فيك مرتاب و لا منك عاصم**

هنيئا لضرب الهام والمجد و العلا **وراجيك والإسلام أنك سالم**

ولم لا يقي الرحمن حديك ما وقى **وتفليقه هام العدا بك دائم ؟**

والقارئ لهذه الأبيات يشعر- لا محالة – بجمال الموسيقى الداخلية وانسجامها مع الموسيقى الظاهرة، ومعانقة موسيقى القصيدة لألفظها و معانيها .

و الحق أن الموسيقى بنوعيها الداخلية منها و الخارجية هي روح الشعر. وإن أي خلل في الوزن أو القافية يصدم الأسماع وينفر الأذن من سماع والنفس من التلقي،حتى ولو توافرت لهذا الشعر رفعة المعنى، وجمال اللفظ، ولا يختلف عاقلان في أن الشعر الجيد هو امتزاج والتئام بين جميع عناصره وخاصة الوزن و الثقافة و الإيقاع الداخلي المنتشر في ثنايا القصيدة، هذا الالتئام الذي يصنع عذوبة الشعر و جماله .

3) تحليل موسيقى للقصيدة السابقة :

تضم هذه القصيدة ستة وأربعين بيتا تبدأ – كالعادة – بالتصريع (الزائم- المكارم) ولم يتكرر في القصيدة إلا في البيت الخامس عشر(حواكم – ظالم). و كان الشاعر موفقا في استخدامه للمستحسن من الضروريات وجاءت قصيدته على النحو الآتي :

أ)- صرف الممنوع من الصرف في البيت السادس (**بغير مخالب**) والخامس عشر(**و المنايا حواكم**) والأربعين (**تشرف عدنان**).

ب)- تذكير المؤنث في قوله : **فلله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق إلا صارم أو ضبارم** .

فجاء الفعل (**ذوب**) بدون علامة تأنيث الفاعل في الفعل لأن الفاعل مجازي أو أن المقصود بالنار اللهيب .

ج)- تسكين المتحرك ضرورة، كما في تسكين الضمير (**و هو نائم**) في البيت الثاني والعشرين في (**وهي العتاق الصلادم**) في البيت الحادي و الثلاثين .

د)- و أحيانا تشبع حركته للمحافظة على الوزن كما في (**نثرتهم**) في البيت التاسع و العشرين (**فيهم**).

هـ)- تحريك ياء المتكلم بالفتح أو تسكينها للحفاظ على الوزن فالتحريك كما في البيت الحادي و الأربعين " لك الحمد في الدر الذي لي لفظه...فإنك معطيه وإني ناظم " و التسكين في البيت الثاني و الأربعين :
وإني لتعدوني عطاياك في الوغى فلا أنا مذموم و لا أنت نادم

و)- تسكين عين الجمع حفاظا على الوزن،و القاعدة الفتح فإذا جاءت العين ساكنة كان تسكينها ضرورة كقوله في البيت الخامس والثلاثين :**وقد فجعته بابنه وابن صهره وبالصهر حملات الأمير الغوا شم**

فحملات جمع (**حملة**) و القاعدة حملات .

استخدم الشاعر قافية ذات جرس عال لتلائم عرضه، حيث الميم المضمومة التي يسبقها ألف التأسيس وما بينها من حرف الدخيل .و الميم حرف مجهور تهتز فيه الأوتار الصوتية وهو بين الشدة والرخاوة ومن حروف الذلاقة .[1]

1- انظر ابن جني .سر صناعة الإعراب.تحقيق مصطفى السقا.مطبعة مصطفى البابي .ج1.ص74. .

كما أن حرف الدخيل – في الغالب – مجهور في هذه القصيدة ومن ذلك أحرف الهمزة، الراء ،الدال ، اللام ،الزاي ،العين ،الجيم ،العين ،الطاء ،الظاء ،القاف و النون .

ومن هذه الحروف ما هو شديد يحدث انفجارا عند نقطة كالهمزة والقاف ،و الطاء،ومنها ما هو متوسط كالراء واللام والعين والنون، ومنها ما يجيء مهموسا كالصاد و التاء والسين والشين والهاء و هي أصوات رخوة ما عدا التاء و من ثم جاء الغالب على أصوات الدخيل الجهر والشدة وكلاهما يلائم صوت المديح .

والشاعر احدث نوعا من الانسجام الداخلي بسبب ما ياتي به من تجانس وجمع بين كلمات من مادة واحدة في بيت واحد، كعزم وعزائم ،وصغير وصغائر وكرام ومكارم ،وعظيم وعظائم . ومن ذلك قوله (وقد حاكموها و المنايا حواكم)،(فما مات مظلوم ولا عاش ظالم).

يستخدم أحرفا مناسبة للمعني الذي يريد ،كاستخدامه لحرف السين الذي نجده في (سيف وأسياف، ناس ونفس، سلاح ونسور،الساقيين وسقتها و ساقها،الروس و أساس،سروا وحميس ،باسم ،يسر،الدمستق، العروس ،كست ،مسمعيه ،الإسلام) وغير ذلك مما ينبني على صوت السين المهوس الذي يحدث صفيرا يتلاءم ومعنى هذه الكلمات في الغالب .

يأتي بالكلمة ويكررها بمعنى آخر جديد بعد عدة أبيات وهذا بالطبع مختلف عن عيب الإيطاء [1]

كما حدث في البيتين السادس والسادس عشر .فجاء في السادس بقوله :(وقد خلقت أسيافه و القوائم) والقوائم هنا قوائم السيف وفي السادس عشر (سر و بجياد ما لهن قوائم) والقوائم هنا قوائم الخيل .
وفي موفى الحديث عن الخصائص الفنية لشعر الحكمة عند المتنبي يمكن القول بان الشاعر قد احتفى احتفاء كبير بالصورة الشعرية و أنه في صوره الشعرية كان يسعى إلى الإبداع و الابتكار توافقا مع نزعته الطموحة وبحثه عن الجديد. وكانت موسيقاه مجموعة تالفات و توافقات صوتية تتحرك بتأثيرها من الانفعال الذي يسيطر على الشاعر و الحكمة التي تسطع قي قصيدته فكانت بمثابة القوة الدافعة التي تحرك نغمات الجمل و الألفاظ .

ب) الخصائص الفكرية :

إن الأفكار من أهم عناصر العمل الأدبي ومقوماته ،وهي دعامة الاعتراف بقيمته.
والأدب يتناول – عامة – في التعبير الأدبي المواضيع التي ترتبط بالتجربة الإنسانية و التجربة المقصودة لا تقتصر على تجربة شخصية عناها الأدب وخصها باهتمامه بل تمثل كافة ميادين النشاط البشري وبذلك تكون التجربة الشخصية واحدا من مناهل الأدب الهامة ،تضاف إليها التجربة الاجتماعية حيث إن المحيط الاجتماعي بكل تعقده و غناه و تشابكه هو العين الذي لا ينضب .

1- انظر المختون.محمد بدوي.في العروض و لقافيه .دار نهضة .مصر 1966.ص 87.

وموقف الأدب الأصيل من الموضوع الذي يطرقه هو موقف المحامي في موقع الدفاع ،يدعم رأيه بكل مثير ودقيق وذكي من الأفكار، معتمدا عنصر الجد و الصدق و القوة في أفكاره،وعلى ما فيها من سمو وإنسانية ودعوة إلى مثل الحياة وقد يناصر الأدب قضية لا يناصرها غيره ولكن ذكاءه يجعله يحشد لدفاعه عن هذه القضية كل البراهين التي تحمل القارئ أو السامع إلى الاقتناع والتأثر والتسليم.

وضمن هذا المنظور تندرج الأفكار التي عبر عنها المتنبي في حكمه، حيث دارت هذه الحكم حول عديد من قضايا الحياة فتناولت أخلاق الناس وطباع المجتمع ونظرة الشاعر إلى العديد من الظواهر والمظاهر وهي حكم – عموما – صادرة عن عقل الشاعر وقلبه وفق نظرة متميزة للحياة وفلسفة خاصة للكون.
وعلى العموم، إن حكم المتنبي قد اتصفت بخصائص فكرية نفصل القول فيها على النحو الآتي :

1) الحياة تقوم على العزة و الشرف :
حيث إن الشاعر كثيرا ما نوه بالحياة في أشرف صورها و أكرم معارضها حيث تسلم من كل ضيم و هوان ومن ذلة و مسكنة :

عش عزيزا أو مت و أنت كريم بين طعن القنا و خفق البنود [1]

فاطلب العز في لظى و دع الذل ولو كان في جنان الخلود

ليس في الحياة التي يريدها المتنبي إلا ألفاظ العز و المجد و السؤدد والكرامة.

2) ذم الزمان و أهله :
أوتي أبو الطيب نفسها جبارة تسامت به إلى أرفع الدرجات، غير أن الأقدار خالفتها، فأخفقت مرارا، فقضي بها الإخفاق المتتابع إلى التشاؤم بالزمان و أهله . وقد تشاءم بأهل زمانه لأنه رأى فيهم أعداء و حسادا يكيدون له ويحلون دون تحقيق آماله.

ورأى فيهم أيضا من ساعده الحظ فبلغ أعلى الرتب وهو عنده لا يستحق هذا المقام ،فكره زمانه و أشار إليه تحقيرا بقوله :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن [2]

وكره أهل زمانه،وصغرهم ورماهم باقبح الأوصاف،فهم قوم ليس الإحسان عندهم في صنع الجميل وإنما في ترك القبيح .

إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان و إجمال [3]

1- العكبري .التبيان في شرح الديوان.ج1.ص322/321.
2- المصدر نفسه .ج4.ص234.
3- المصدر نفسه .ج3.ص287.

ويشتد تشاؤمه بالزمان وأهله إلى حد القول بكره النسل.

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة و أن يشتاق فيه إلى النسل [1]

أما وقد قضى على أهل زمانه باللؤم و الدناءة فقد أخذ ينعي مودتهم و دينهم :

فلم أر ودهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا [2]

ولما كان أمر الناس على هذه الحال ،عاملهم بمثل سلوكهم :

ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام [3]

و صرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

3) السخط على الملوك و الحكام :

نقم المتنبي على الملوك لا مرين أولهما أنه كان يرى لنفسه أحق بالملك من غالبيتهم إن لم يكن منهم جميعا :

وفؤادي من الملوك و إن كان لساني يرى من الشعراء [4]

و الثاني تألمه من رؤية من يسعفهم الحظ و هم جهال جبناء :

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام [5]

1- المصدر نفسه .ج3.ص52.

2- المصدر نفسه .ج2.ص303.

3- المصدر نفسه .ج4.ص144.

4- المصدر نفسه .ج1.ص36.

5- المصدر نفسه .ج4.ص70.

ومهما يكن من أمر فالعبرة بالفعل و العمل لا بالمنصب :

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي يغني كرام المناصب [1]

ومن هنا، نشأ اعتقاده بالحظ فقضى أن العاقل غير مجدود

وما الجمع بين الماء و النار في يدي بأصعب من أن أجمع الجد والفهما [2]

4) السعي إلى تحقيق المجد بالفعل و الإنجاز و ليس باللفظ و الكلام :

أدرك المتنبي منذ نعومة أظافره أن الحياة يتحكم فيها منطق القوة وأن معالي الأمور لا تتحقق فيها إلا بمغالبة الصعاب و تكبد المتاعب و المشاق .

و لا تحسبن المجد زقا و قينة فما المجد إلا السيف و الفتكة البكر[3]

وكذلك :

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعال[4]

أما الشاعر فقد آمن حق الإيمان بهذه الحقائق و لهذا كان له أن صرح :

ومن يبغ ما أبغي من المجد و العلا تساوى المحايي عنده و المقاتل[5]

وهو يؤمن حق الإيمان أن جليل الأعمال لا يتحقق إلا بالسعي و الإقدام و تكبد المشاق و الآلام .

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى و لكن بأيام أشبن النواصيا[6]

وهذا السؤدد الذي يله جبه الشاعر ويتعشقه يدعمه بأشياء ثلاثة لا غنى عنها وهي الشجاعة و العقل و المال .

1- المصدر نفسه .ج1.ص155.
2- المصدر نفسه .ج4.ص108.
3- المصدر نفسه .ج2.ص149.
4- المصدر نفسه .ج3.ص279.
5- المصدر نفسه .ج3.ص177.
6- المصدر نفسه .ج4.ص 291.

أ) الشجاعة و العقل :

ويقدس المتنبي العقل كما يقدس الشجاعة لأن الشجاعة لا تبلغ بصاحبها المراتب العليا ما لم تكن مقرونة بالعقل :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول و هي المحل الثاني[1]

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

و العقل عنده لا كفاء له في التعظيم سوى الشرف.

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا و عقول[2]

وذلك لأن المتنبي يعد العقل قدرة فطرية يختص بها الإنسان وحده دون سائر المخلوقات الأخرى، ومن حرم نعمة هذه القدرة كان أقرب إلى البهيمة .

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان[3]

ويبلغ تعلق الشاعر بالعقل إلى حد اعتبار الشقاء في رحابه نعمة :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله و أخو الجهالة في الشقاوة ينعم [4]

ب) المال :

وكان يرى أن المال عصب المجد، و إن لا قوة إلا به، فعظم جانبه ،ولم يسرف في إنفاقه حفاظا على المجد أن ينهار :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده[5]

فحبه المال إذن من أجل المجد وحده، فإذا ذهب المجد أصبح المال لا قيمة له ولا نفع.

1- المصدر نفسه .ج4.ص174.

2- المصدر نفسه .ج3.ص109.

3- المصدر نفسه .ج4.ص174.

4- المصدر نفسه .ج4.ص124.

5- المصدر نفسه .ج2.ص23.

و الحقيقة أن الحديث عن المجد عند أبي الطيب، حديث يطول و في سبيله يسهل التناقض في إبداء الرأي. وإن هو إلا المزاج الشاعري ،يخضع لشتى الانفعالات الوجدانية و يتطور مع مراحل النضج التي يشهدها الشاعر، ولكنه يتطور أبدا نحو هدف " المجد " الذي كان بالنسبة إلى المتنبي " الفردوس المفقود "،يحن إليه أيما حنين .

و أما من يرضى بالمذلة، فإن عليه أن يطرح هموم السيف و المجد معا :

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا [1]

ولا تستطيلن الرماح لغارة ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

وكثيرون هم الأذلاء الذين هانوا على أنفسهم، فهانوا على الناس، وأصبحوا كالأموات،لا تؤثر الجروح في أجسامهم ولا في نفوسهم .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام [2]

5) الغوص في أعماق النفس البشرية و الكشف عن صنوف البشر :

إن كثرة رحلات المتنبي إلى العديد من البلاد العربية و إنشاءه لعلاقات مع أهلها قد أوحت إليه بنظرات حول صنوف البشر .

وها هو ينزل بمصر، فيضيق درعا بها لانتشار اللؤم و الجور بها وخلوها من الكرام حيث عم الجعل العبيد و الأحرار والتبس الصريح النسب بالموالي،حتى إنه ليتساءل عما أصاب الناس من تملك العبيد و اللئام عليهم ،أهو حديث عهد أم هو قديم، كان فيما تقدم من الزمان ؟

أما في هذه الدنيا كريم تزول به عن القلب الهموم [3]

أما في هذه الدنيا مكان يسر بأهله الجار المقيم

1- المصدر نفسه .ج4.ص282.

2- المصدر نفسه .ج4.ص94.

3- المصدر نفسه .ج4.ص151.

تشابهت البهائم و العبدي علينا و الموالي و الصميم

وما أدري أذا داء حديث أصاب الناس أم داء قديم ؟

ويخالط قوما فيجدهم طياش اللب ،لا خير فيهم فيتبرأ من الانتساب إليهم :[1]

ودهر ناسه صغار وإن كانت لهم جثث ضخام

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

وعندما يعيش المرء وسط مثل هؤلاء القوم،لا يسعه إلا أن يتحفظ من صداقتهم و إن كثر منهم التملق و اللين في المعاملة ظاهريا :

خليلك أنت،لا من قلت خلي وإن كثر التجميل و الكلام [2]

فهؤلاء القوم لا يؤتمن جانبهم، إذا لا عقل لهم و ليس لهم حفاظ على الذمة :

ولو حيز الحفاظ بغير عقل تجنب عنق صيقله الحسام [3]

وكيف للإنسان أن يطمئن إلى هذا الصنف من البشر و هو لا يحرك ساكنا إزاء الأذى فلا يزيدهم سكونهم ذلك إلا شقاء و ضعفا، والحياة في ظل الذل و الهوان تهون فيصبح الموت خيرا منها، ايعتقد هؤلاء القوم إن تصرفهم هذا ضرب من الحلم ؟ كلا . إن الحلم في مثل هذا الموقف المبني على الضعف و العجز أقرب إلى اللؤم :

واحتمال الأذى و رؤية جانيه غذاء تضوي به الأجسام [4]

ذل من يغيظ الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لا جيء إليها اللئام

أما وقد كان الأمر على هذا الحال، إذا باليأس يسود مشاعر المتنبي من جراء فقدانه لأصدقاء أوفياء يأنس إليهم إذا به يطلقها صرخة مدوية تنم عن حاجة الإنسان إلى كسب صديق يركن إليه وهو أغلى مكسب، ولاسيما إذا كان ما يكسب يسئ إلى عرضه .

1- المصدر نفسه .ج4.ص70.

2- المصدر نفسه .ج4.ص71.

3- المصدر نفسه .ج4.ص71.

4- المصدر نفسه .ج1.ص93.

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يصم [1]

ثم يلتفت إلى أولئك الذين يكيدون له المكائد، بالسعاية و الوشاية و الغيبة والنميمة فيجيبهم بقوله :

و إذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل [2]

6) التأمل في ظواهر الوجود وجواهره :

وإذا كان للمتنبي أن يقف أمام ظواهر الوجود وجواهره،فقد راح يتساءل عن معاني الحياة والموت، فكانت معاني الحياة على نحو ما أوضحتها من أصدقاء الخيبة و المرارة و القنوط من الدنيا التي تتنكر للأكفاء و تحالف الانتهازيين في غالب الأحيان و إما الموت، فقد نظر إليها الشاعر،بصوره عامة مطلقة على إنها إنهاء محتوم للحياة،سواء كان ذلك الإنهاء عن طريق أمر عظيم أو عن طريق أمر حقير :

فطعم الموت في أمر صغير كطعم الموت في أمر عظيم [3]

وهذا الشعور بالموت ولد في نفسه طموحا فياضا يسعى إلى تحقيقه ولو كان في أبعد الأماكن :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم [4]

كما أبعد عنه كل سلوك جبان :

يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم [5]

وجعله يدرك حقيقة الشجاعة :

وكل شجاعة فيي المرء تفنى ولا مثل الشجاعة في الحكيم [6]

1- المصدر نفسه .ج3.ص373.
2- المصدر نفسه .ج3.ص260.
3- المصدر نفسه .ج4.ص119.
4- المصدر نفسه .ج1.ص119.
5- المصدر نفسه .ج4.ص120.
6- المصدر نفسه .ج4.ص120.

ووقف المتنبي أيضا أمام هذا الكيان البشري المؤلف من روح و جسد، فأدرك بعد إمعان فكر، وإعمال عقل، وعمق تجربة ،وتكثيف اختبار ،أن الأجساد غالبا ما تنوء تحت أعباء النفوس، إذا كانت مطامح النفس أكبر من احتمال الجسد :

و إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام [1]

وإذا كانت الدنيا تنطوي على الخير والشر،وعلى الصلاح و الطلاح وعلى السراء والضراء،فهل هناك خير مطلق أو سر مطلق ؟ بمعنى آخر، هل المصيبة التي تحل بامرئ هي كذلك بالنسبة للآخرين ، أم أنها تنطوي على فائدة تنصيب غير المصاب ؟

إن المتنبي يجيب على ذلك بأن الأمور نسبية،وأن ما يكون خيرا وفائدة لشخص معين ،قد يكون شرا و مصيبة لشخص آخر :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد [2]

ولكن ينتهي الأمر بالمتنبي إلى القول بأن الشر كامن في نفس وهو مذهب مادي لأن أصحابه يزعمون أن الخير في الجسم ويخالفون في ذلك مذهب أفلاطون الذي يقول بأن الخير في النفس والشر في الجسم، وفي السياق يقول :

و الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم [3]

7) الإشادة بالحلم و الاتصاف به :

إن الحلم من حيث هو الأناة و ضبط النفس ،وإذن فهو من الصفات الأخلاقية العالية وقد حظي باهتمام المتنبي في حكمه فكان له أن عرفه وحدد مفهومه الصحيح. إن الحلم في نظر المتنبي صفة أصلية كريمة جديرة بأن يتصف بها المرء ما لم تكن ضربا من الجبن و المساس بالكرامة :

1- المصدر نفسه .ج3.ص345.

2- المصدر نفسه .ج1.ص276.

3- المصدر نفسه .ج4.ص125.

إني أصحاب حلمي وهو بي كرم ولا أصحاب حلمي و هو بي جبن [1]

تم تصحيح مفهوم الحلم،حيث يقول بأن الحلم المحمود هو ما كان ناجحا عن قدرة لا عن عجز وضعف و إلا فهو ستار يتستر به اللئام الانتهازيون .

ذلك لأن المتنبي يعد الحلم فطريا غريزيا لا ناتجا عن طول عمر :

و إذا الحلم لم يكن عن طباع لم يحلم تقدم الميلاد [2]

ثم يزيد الأمر وضوحا فيبين أن الحلم ليس وقفا على المسنين كما شاع بين عامة الناس بل قد يتصف به الفتى الشاب كذلك :

فما الحداثة من حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان و الشيب [3]

والحلم في بعض المواقف قد يتحول إلى جهل إذ تعرض المرء إلى المظالم وذلك حتى لا يفهم الناس بأن الحلم ضرب من الخوف و الجبن :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم [4]

ولكن الإخوان والخلان جديرون بأن نقابل جهلهم بالمزيد من الحلم و رباطه الجأش، لأن رد الفعل هذا يجعلهم يندمون على تصرفهم الجاهل. ولأنهم جديرون بأن نتسامح معهم بحكم الصداقة التي تربط بهم.

وأحلم عن خلي و أعلم أنه متى أجهزه حلما على الجهل يندم [5]

وهكذا نلاحظ أن الأفكار التي شملتها حكم المتنبي تناولت العديد من قضايا الحياة،فتناولت الأخلاق والمجتمع وترجمت عن طموحه ونظراته إلى الحياة و الموت . وكان الشاعر يسوق حكمة مراعيا سياق القصيدة. فكانت هذه الحكم بمثابة الأعمدة التي تدعم بيان معاني قصيدته .

وفي مجمل القول، إن المتنبي في معالجة للمعاني الحكمية قد عبر عن قيم إنسانية عالية بحسد مبادئ نابعة من عمق إيمانه بأفكار بمثلها في حياته. فحكمة ليست مجرد حكم جادت بها قريحته،إنما هي حكم منبعثة عن رؤيته الخاصة بصور جديدة و قيم جديدة ودلالات جديدة حيث يتعمق شاعرنا في هذه القيم مستهدفا بث مقومات الحياة الحقة،مقومات الرجولة الحقة، مقومات الكرامة الإنسانية الحقة ونبذ الشعور بالهوان الذي أوشك أن يسيطر على عقلية الإنسان في عصره وأن يطبعها بطابع الضعف و الخذلان .

1- المصدر نفسه .ج4.ص238.

2- المصدر نفسه .ج2.ص33.

3- المصدر نفسه .ج1.ص170.

4- المصدر نفسه .ج4.ص112.

5- المصدر نفسه .ج4.ص136.

خـــاتـــمـــة :

مـن خـلال تـنـاولـنـا لموضوع " الحكمـة فـي شعـر المتنبـي (لـدراسـة تحـليـليـة) "
يـمـكـن أن نـجـمـل نـتـائـج بـحـثـنـا فـيـمـا يـأتـي:

- كان الشاعر محتوى لعصره وظروفه، حيث تأثر فكره وفنه بما في البيئة الزمانية والمكانية من ظروف السياسة الاجتماعية والحياة الفكرية والأدبية، وما ساد العصر من مظاهر الفساد والاضطراب السياسي، الأمر الذي أثرى تجربته الشعرية وعمق نظرته إلى الحياة .
وكما لما نقل من العلوم والمعارف والفلسفة واتساع للحركة الأدبية والفكرية وظهور المعاجم وتصنيف كتب اللغة،والدراسات اللغوي التي تميزت بها كل من مدرستي الكوفة والبصرة، كان لكل ذلك أثر كبير في شعر المتنبي لفظا ومعنى حيث اتسعت ثقافته ونضج تفكيره مما جعله في طليعة شعراء الحكمة بين سائر الشعراء بالإضافة إلى عمق أفكاره ودقة معانيه .

– كان المتنبي – فعلا – حصيلة عصره، فقد تأثر بأفكار الفرق الموجودة آنذاك،وتعصب للعرب والعروبة فكان له أن دعا إلى الثورة من أجل استراد مجد العرب وبناء دولة جديرة بالعظمة والجلال وذلك كرد فعل لما رأى العرب عليه من ضعف و انهيار وتكالب الأعداء عليهم. ولقد كان يعتمل في نفس الشاعر صراع داخلي من جراء ما كان يعيشه من مظاهر العصر السلبية وما فيه من تناقضات حيث اجتماع الثراء الفكري و العلمي من ناحية، والتدهور السياسي و الاجتماعي من ناحية أخرى .
وبالنظر إلى هذا التناقض الذي كان يسود عصر الشاعر فقد تولد في نفسه الإحساس بالغربة، وما استشعره من اغتراب عنن عصره وعن معاصريه الأمر الذي جعله يفجر هذا الإحساس حكما وأمثالا يوقظ بها فكر الغفلة من بني قومه .

– ولما كان موضوع البحث يتمحور حول " شعر الحكمة " فكان طبيعيا أن يقف البحث على هذا الجانب. فتم تبيان مظهر شعر الحكمة في نتاج الشاعر حيث جاء هذا النوع من الشعر عاكسا للجانب الإنساني الخاص بالشاعر ولنظرته للأخلاق وللمجتمع، وكذا لطموحه الفياض الذي لا تحده حدود، ولما صادفه من إخفاق وما احس به من تشاؤم كما عبر عن وجهة نظره في الدين و الدنيا والجمال والقبح والمال وغير ذلك من القضايا، التي استلهم منها خبرته بالحياة والأيام مما جعله يصور واقع حياته وحياة الآخرين .
وقد كشف الحكمة عنده عن حقيقة مؤداها، أنه يمجد القوة ويجعل منها غايته و وسيلته في الحياة، فاتخذها سبيلا إلى إبراز المثل العليا التي يسعى إلى تحقيقها، واستطاع بذلك أن يترجم بصدق عن نفسه وما اكتنفها من مؤثرات واضطرابات معبرا بذلك عن نظرة إنسانية قويمة للإنسان و الحياة .
وفي خضم الحديث عن الحكمة في شعر المتنبي تم تحديد مصادر هذه الحكمة و التي تتمثل في نوعين من المصادر: (**مـصـادر أصـلـيـة - مـصـادر أجـنـبـيـة**) .
وقد تم تفصيل القول في هذين النوعين بما يبين أن المتنبي إنما نبغ في الشعر عموما و في نظم الحكمة خصوصا بما توافر لديه من استعداد فطري وباستثماره لمعطيات بيئية العلمية و الأدبية والثقافية ثم باطلاعه على معارف وعلوم الأعاجم وفي مقدمتها الفلسفية اليونانية .

- انتقل البحث إلى استعراض البعد الفني،وأكد أن البعد الفني في التعبير الأدبي يحتل مكانة مرموقة حيث إن بلاغة التعبير يقرها المبنى قبل المعنى. وبنية التعمق في ماهية الفن، تطرق البحث إلى تفقد آراء الأدباء و المفكرين مبرزا بعد ذلك خصائص التعبير الفني التي تكون أقوى و أظهر في التعبير الأدبي عموما والشعر خصوصا ذلك بما يتوافر عليه الشعر من عناصر النغم والموسيقى النابعة من الوزن والقافية .

وبعد هذا التقديم حول التعبير الفني في الأدب وخصائصه يصل البحث إلى تفقد حظ حكم المتنبي من التعبير الفني بأن تساءل عن سر ذيوع هذه الحكم ،بين قوة المعني و جودة الصوغ الفني .

وعن طريق تحليل نماذج شعرية في الحكمة، يبين البحث بأن عمق حكم المتنبي الفكرية لم تكن لتنسيه العناية بالتعبير اللغوي الجميل الذي تنسجم فيه قوة المعاني مع جمال المباني وذلك عن طريق التوظيف المتميز للغة .

- ويتوج الموضوع البحث بالحديث عن الخصائص الفنية و الفكرية لشعر الحكمة عند المتنبي عن طريق الوقوف على نماذج من حكمه دعما لكل خاصية من الخصائص المشار إليها .

وتخلص دراسة هذه النماذج إلى أن المتنبي في معظم حكمه عني عناية خاصة بالصورة الشعرية و أنه كان يسعى إلى الإبداع والابتكار توافقا مع نزعته الطموحة ورغبته في التجديد.

وفي هذا السياق أبرز البحث بأن الصورة الشعرية عند المتنبي كثيرا ما كانت إيجابية، وكثيرا كانت ترتبط بالموقف النفسي، ولم يكن من أولئك الشعراء الذين ظلوا مرتبطين بالصورة الشعرية التقليدية.

فهو إن جسد المعنى و شخصه فذلك بنية السيطرة على بعض حواس المتلقي بسيادة العقل الحكيم، ولم يعد الشاعر يكتفي بالصورة الجزئية بقدر ما انتقل إلى الصورة العامة الكلية التي تستجيب أكثر لنفسية الثائرة الطموحة .

أما في مجال الألفاظ فقد أشار البحث إلى استخدام الشاعر لألفاظ مثقلة بالمعاني كما استخدم ألفاظ الفلاسفة والمتصوفة و فوق هذا كله كانت للشاعر قدرة منفردة على استخدام الكلمة بدلالها المتعددة، ولكن مع هذا التعدد يصعب تعويض كلمة بغيرها، مما يدل على قدرة تحكمه في اللغة .

وأما الجانب الفكري في حكمه ،فقد اتسم باستخدام المنطق والعقل في طرق معانية مع المزج بين عمق التفكير و تأثير التعبير .

هذا، و تجدر الإشارة إلى أن البحث في مسعاه إلى إبراز الخصائص الفنية والفكرية لحكم الشاعر، قد انطلق من كون هذه الحكم ذات طابع احتمالي، متعدد،حكم منسجمة ،مفتوحة على قرارات متنوعة.

ولهذا تكررت بعض هذه الحكم في ثنايا الدراسة وفق ما يقتضيه السياق .

وعلى وجه الإجمال إن حكم المتنبي لم تكن لتؤلف فلسفة ذات منهجية نظرا لكونها جاءت شذرات مستقلة متقطعة لا تنتظم في موضوع واحد ولا تستقل بباب مخصوص من أبواب شعره غير أن هذا لا ينقص من أهميتها، فهي تتميز بكونها وليدة الوجدان و العقل معا، تزخر بالمعاني الدقاق وتضح بالعاطفة وتزدهي بالإيقاع الموسيقي المنتظم الأمر الذي جعلها تجمع بين قوة الإقناع وجمال الإمتاع. فظلت سائرة مذكورة تنطق بألسنة الحدثين وتتكلم بخاطر كل إنسان وقد ملأت الدنيا وشغلت الناس في عصره وبعده، وبحكمه هذه دون سواها،استطاع أبو الطيب المتنبي أن يحطم حدود الأقطار و الأزمنة وينفذ إلى العقول فيثريها و إلى القلوب فيمتعها .

" ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذو الفضل العظيم "

1) المـــصـــــادر:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .
- البخاري . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل- صحيح البخاري. مراجعة و ضبط و فهرسة. الشيخ محمد علي القطب و الشيخ هشام البخاري .المكتبة العصرية . صيدا .بيروت 2004.
1- البرقوقي .عبد الرحمن - شرح ديوتن المتنبي .دار الكتاب العربي .بيروت 1986.ط2 .
2- العكبري . أبو البقاء عبد الله بن الحسين – التبيان في شعر الديوان ،ضبطه وصححه و وضع فهارسه مصطفى السقا،وطبعة مصطفى البابي الحلبي .مصر 1971.
3- الواحدي .أبو الحسن علي بن أحمد – شرح ديوان المتنبي ،دار بيروت للطباعة والنشر.بيروت 1983.
4- اليازجي .ناصف – العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ،دار بيروت للطباعة والنشر.1981.
5- الأصفهاني .أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن – الواضح في مشكلات شعر المتنبي ،تحقيق محمد الطاهر بن عاشور مطبعة الدار التونسية للنشر.تونس 1968.
6- البديعي .يوسف – الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، تحقيق مصطفى السقا، محمد شتا ،عبد زيادة عبده ،دار المعارف القاهرة 1994
7- البغدادي .عبد القادر بن عمر – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، دار الشروق .بيروت .
8- بليق عز الدين.منهاج الصالحين من أحاديث و سنة خاتم الأنبياء و المرسلين،دار الفتح للطباعة والنشر. بيروت .لبنان . 1978.
9- ابن تغري بردي .جمال الدين أبو المحاسن يوسف – نجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة،تحقيق مصطفى السقا.مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1956.مصر.
10- الثعالبي .أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،دار الكتب العلمية. بيروت 1979
11- الجاحظ .أبو عثمان عمرو بن بحر – البيان و التبيين،تحقيق عبد السلام هارون.مطبعة دار المعارف . القاهرة 1966 .ط 5.
12- الجاحظ .أبو عثمان عمرو بن بحر – كتاب الحيوان ،تحقيق عبد السلام هارون.مطبعة مصطفى الباري .
13- الجرجاني .القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز – الوساطة بين المتنبي وخصومه،تحقيق وشرح محمد إبراهيم أبو الفضل وعلي محمد البجاوي ،مطبعة عيسى الباني الحلبي ، مصر 1966 .ط 4 .

14- ابن جني ،أبو الفتح عثمان الأزدي – الخصائص،تحقيق علي النجار ،دار الهدى للطباعة. القاهرة .
15- ابن جني .أبو الفتح عثمان الازدي – سر صناعة الإعراب ،تحقيق مصطفى السقا.القاهرة.مطبعة مصطفى الباي الحلبي . مصر .
16- الحاتمي.أبو علي محمد بن الحسين – الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي و ساقط شعره ،تحقيق د . يوسف نجم .مطبعة دار صادر . بيروت ،لبنان 1965 .

17- إبن حجر العسقلاني ،أحمد بن علي – لسان الميزان ، مؤسسة الأعلى للطباعة و النشر ،بيروت ،1971 ،ط 2 .
18- الخطيب البغدادي. أحمد بن علي – تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
19- ابن خلدون .عبد الرحمن – المقدمة دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
20- ابن خلكان .شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر – وفيات الأعيان و أبناء الزمان ،نتحقيق إحسان عباس ، دار صادر .بيروت . 1986 .
21- ديكارت .روني – مقالة الطريق ، ترجمة د . جميل صليبا .دار الطليعة للطباعة و النشر . بيروت 1983.ط 1 .
22- رضا أحمد .معجم متن اللغة ، دارمكتبة الحياة ،بيروت 1958.
23- الزوزني .القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع،دار اليقظة العربية للتأليف و النشر و الترجمة – بيروت 1969 .

24- أبو العتاهية ، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان – الديوان ، تحقيق د ، شكري فيصل ،مطبعة جامعة دمشق 1965 .

25- أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان – رسالة الغفران – تحقيق مصطفى السقا و عبد السلام هارون – الدار القومية للطباعة و النشر – القاهرة ،1964 .

26- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم – الشعر و الشعراء ،تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر .دار المعارف – القاهرة 1967 .

27- ابن قتيبة ، أبو عبد الله بن مسلم – عيون الأخبار ،تحقيق أحمد محمد شاكر،دار المعارف ، القاهرة . 1966 .

28- القفطي ،الوزير جمال الدين أبو الحسن – إخبار العلماء بأخبار الحكماء. دار الآثار للطباعة و النشر – بيروت .

29- القفطي ، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف – إنباء الرواة على أنباء النحاة . بيروت .

30- مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الوسيط ،دار المعارف ، القاهرة 1972 .ط2 .

31- ابن مصور ،الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الإفريقي المصري – لسان العرب . دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت 1956 .

32- ابن فارس بن زكريا ، أبو الحسين أحمد – معجم مقاييس اللغة، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون ،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1366 هج.

2) الـمـراجــع:

1- أبو العلا ،مصطفى – شعر المتنبي ،دراسة فنية،مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1976.
2- أدو نيس ،على أحمد سعيد – مقدمة للشعر العربي .دار الثقافة .بيروت .
3- أمين ،أحمد – فجر الإسلام .دار الكتاب العربي . بيروت 1969 . ط10.
4- أمين ،أحمد – ضحى الإسلام. دار الكتاب العربي . بيروت . ط 10.
5- أمين ،أحمد – كتاب الأخلاق ،دار الكتاب العربي 1969 .ط 3.
6- البستاني، فؤاد أفرام –محاولات في تحديد الشعر،المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1973.
7- البستاني، فؤاد أفرام – كعب بن زهير،المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1982 .ط 6
8- البستاني،بطرس ،أدباء العرب في الأعصر العباسية،دار المكشوف ودار الثقافة ،بيروت 1968.ط6
9- بلاشير،ريجيس- أبو الطيب المتنبي،ترجمة إبراهيم الكيلاني،ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر1975
10- جويتو،جان ماري- مسائل فلسفة الفن المعاصر، ترجمة سامي الدروبي،منشورات وزارة الثقافة دمشق 1960.ط2 .
11- الحاوي ، إيليا ،الرومنسية في الشعر الغربي و العربي ،دار الثقافة ،بيروت 1983.
12- حسن ،حسن إبراهيم – زعماء الإسلام ،مكتبة النهضة المصرية.القاهرة.
13- حسين ،طه ،حديث الأربعاء ،دار المعارف ،القاهرة ،1976 ، ط 12.
14- حسين ،طه ،مع المتنبي ، دار المعارف ،القاهرة ،1980 ،ط 2.
15- حمود ،محمد ،أبو الطيب المتنبي ،دار الفكر اللبناني ،بيروت 1993.
16- أبو الخشب ،إبراهيم علي ،تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني،مطبعة الأنجلو-سكسونية ،القاهرة.
17- الخفاجي ،محمد عبد المنعم ،النقد العربي الحديث ومذاهبه ،دار الكتب العلمية .بيروت.
18- دي بور،توماس جون – تاريخ الفلسفة في الإسلام،ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة،طبع لجنة التأليف و النشر، دار القلم بيروت.
19-رضوان ،محمد مصطفى ،العلامة اللغوية إبن فارس الرازي،دار المعارف ،القاهرة.
20-زيدان ،جرجي ،تاريخ التمدن الإسلامي ،مكتبة الحياة،بيروت 1967.ط2.
21-سلامة،يسري،الحكمة في شعر المتنبي ،دار المعرف القاهرة.
22-سوندرز،بيلي،فن الأدب ،ترجمة شفيق مقار،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة1966
23-الشعكة مصطفى ،فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين،المكتبة الأنجلو مصرية القاهرة.
24-شعيب،محمد عبد الرحمن- المتنبي بين ناقديه، دار المعارف ،القاهرة 1964.
25-صليبا جميل، المعجم الفلسفي ،دار الكتاب اللبناني،بيروت 1978
26-ضيف ،شوقي – العصر العباسي الأول،دار المعارف ،القاهرة 1975 ،ط 5.
27-ضيف ،شوقي –الفن ومذاهبه في الشعر العربي ،دار المعارف، القاهرة 1974 .ط 8.
28-ضيف ،شوقي – العصر العباسي الثاني،دار المعارف، القاهرة 1975.ط 2.

29-ضيف ،شوقي – الترجمة الشخصية،دار المعارف ،القاهرة .1970 .
30-ضيف ،شوقي – فصول في الشعر ونقده ،دار المعارف ،القاهرة .1976.

31- ضيف ،شوقي – الأدب الجاهلي ،دار المعارف ،القاهرة .1974. ط 6.
32- ضيف ،شوقي – العصر الإسلامي ،دار المعارف ،القاهرة .1974 . ط 6.

33- عاصي ، ميشال، الفن و الأدب، منشورات المكتب التجاري للطباعة ،بيروت ،1970.ط2
34- عاكوب ،عيسى، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي،دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، حلب 1989 .ط 1.
35- عباس ،إحسان ،ملامح يونانية في الأدب العربي ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت 1977.
36- عباس ،إحسان ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب،دار الأمانة ،بيروت ،1971.
37- عبد المنصور ،عبد الفتاح،الإمام على بن أبي طالب،دار الفكر العربي ،بيروت.
38-عزام،عبد الوهاب،ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام، دار المعارف ،القاهرة 1986.ط3
39-عشماوي ،أيمن محمد زكي،قصيدة المديح عند المتنبي و تطورها،دار النهضة العربية، بيروت1983.ط1.
40- عباس ،محمود العقاد،ساعات بين الكتب،دار الكتاب العربي،بيروت 1969، ط 2.
41- عياش، سامي ،الإسماعيليون في المرحلة القرماطية، دار ابن خلدون ،بيروت .
42- عيد ، رجاء، الشعر و النغم في موسيقى الشعر، دار الثقافة ،القاهرة 1975.
43- غنيمي ،هلال .الأدب المقارن، دار النهضة ،القاهرة 1973 .ط 3.
44- فاخوري حنا. تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية ،بيروت ، ط 6.
45- فاعور، أحمد صالح ،الدولة الحمدانية في حلب ،طبعة أ ب دمشق 1980 .
46- فروخ ، عمر ،بشار بن برد،دار العلم للملاين ،بيروت .
47- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي في الأعصر العباسية،دار العلم للملايين ،بيروت 1975 .ط2
48- قمير،يوحنا ،أصول الفلسفة العربية، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1967 .ط2.
49- متز ،آدم ،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ترجمة عبد الهادي أبو ريدة،دار الكتاب العربي، مكتبة الخانجي ،1967 . ط 4.
50- مختون ، محمد بدوي ،في العروض و القافية،دار النهضة، مصر 1966.
51- مصطفاوي،موهوب ،المثالية في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1982.
52- مكاوي ،عبد الغفار،ثورة الشعر الحديث،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة 1972.
53- موسى، جلال ،نشأة الأشعرية و تطورها، دار الكتاب اللبناني،بيروت 1977.
54- نايت بلقاسم،مولود قاسم ،الإسلام ثورة شاملة ،مجلة الأصالة الصادرة عن وزارة التعليم والشؤون الدينية ،السنة 2 العدد9، أكتوبر 1972.
55- نعجة ،فتحي أسعد إسماعيل ،الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي،دار البشير،الأردن2000، ط 1.

56- هاشم، جوزف، أبو الطيب المتنبي ،منشورات دار الشرق ،بيروت ،1961. ط2.
57- هدارة، محمد مصطفى ،مقالات في النقد الأدبي ،دار القلم،بيروت 1964 .ط1 .
58- الواد ،حسين ، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب ،دار الغرب الإسلامي، بيروت 2004،ط 2.

فـــهـــــرس الـمـــوضـوعـــات

شكـر و عـرفـــان

الـمـقـدمـة .....(أ – ب)

الـمـــدخـــل

- مدلول الحكمة في معاجم اللغة.....4
- مدلول الحكمة في القرآن الكريم..... 5
1) الحكمة في الفكر الإنساني.....6
2) شعر الحكمة قبل المتنبي.....7
أ) شعر الحكمة في العصر الجاهلي..... 7
ب) الحكمة في صدر الإسلام و العصر الأموي.....9
ج) شعر الحكمة في العصر العباسي الأول (132هج/334هج).....11

الـفـصل الأول : الـمـتـنـبـــي و عـصـــره

1) مظاهر الحيلة السياسية و الاجتماعية ،الفكرية والأدب في العصر المتنبي 12
أ) مظاهر الحياة السياسية.....12
ب) مظاهر الحياة الاجتماعية.....15
ج) الحياة الفكرية و الأدبية 17
2) حياة المتنبي (نشأته و ثقافته) 23

الـفـصـل الـثـانـــي :

1) المصادر الأصلية.....40
2) المصادر الأجنبية 43
أ) الفلسفة اليونانية 44
ب) الفكر الفلسفي و أثره على العقلية العربية 49
ج) الثقافة الهندية 53

الـفـصـل الـثـالـث : الـخـصـائـص الـفـنـيـة و الـفـكـريـة في شعر الحكمة عند المتنبي

الخصائص الفنية.....57
الخصائص الفكرية.....77

الـخـــاتـــمـــة..... 87

المصادر و المراجع.....89

فهرس الموضوعات.....94